ردّ القمص سرجيوس

على

القائلين بتحريف التوراة والانجيل

أو تغييرهما وتبديلهما أو نسخهما

أي بطلان حكمهما وحلول القرآن محلهما

ورد اعتراضات أخرى على بعض آيات من التوراة والانجيل

طبع بمطبعة المحيط بالفجالة بمصر

في أول ديسمبر ١٩٤٦

يصدر بمشيئة الله

الكتاب الثالث

رد القمص سرجيوس

على

الشيخ المروى

حول التثليث والتوحيد

يطلب كتاب

رد القمص سرجيوس

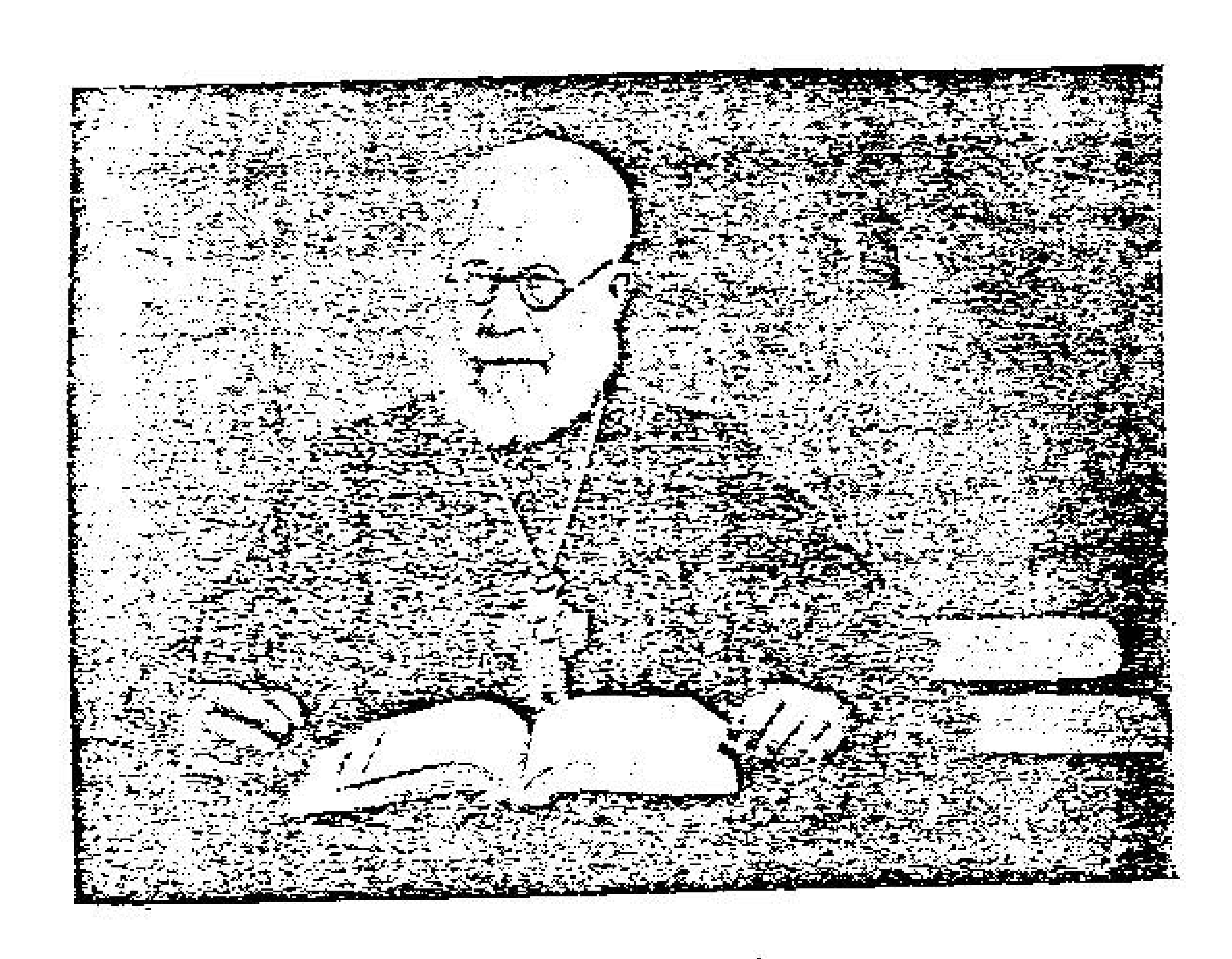
على

الشيخ الطنيخى وآخرين

حول سر المائدة أو القربان وموضوعات اخرى

من ادارة مجلة المنارة المصرية بشارع الزهار رقم ١٧ بالقللى بمصر

وثمنه ١٠ قروش واجرة البريد ٢٢ مليما



القمص سرجيوس

مقدمة الكتاب

هذا كتابنا الثانى تضمنه جزءاً آخر من ابحاثنا العديدة التى جرت بيننا وبين آخرين على صفحات مجلة المنارة المصرية

ولما كانت المدة بين صدور الكتاب الأول وبين الكتاب الثانى هذا شهرين فقط حق علينا ان نشكر الله تعالى اولا على عونه لنا وثانيا لأنه تعالى تقبل منا هذه الخدمة كما كان قديما يتقبل الذبائح بالنار من السماء فتلتهمها علامة القبول والرضى

وهكذا جل اسمه اعطانا هذه العلامة فى تقدمة كتابنا الأول بان جعل تعالى نار الغيرة المتأججة فى قلوب القراء تلتهم الكتاب فى هذه المدة القصيرة ورغم الظروف التى ظهر فيها

وهذه الغيرة التى اقبل بها القراء على كتابنا حرضت نشاطنا وغالبت احزاننا حتى انجزنا هذا الكتاب الثانى الذى سيعقبه بمشيئة الله الكتاب الثالث والرابع وهكذا

فشكراً لله تعالى ولحضرات القراء على هذا التشجيع

القمص سرجيوس

دعوى تحريف التوراة والانجيل

يخيل الى وأنا اكتب لأرد على الذين لا يزالون يقولون بتحريف التوراة والانجيل انني رجعت قرونا الى الوراء وانني اعيش فى ظلمة القرون الماضية حيث العقل معطل والمنطق مرذول ومحكوم على من يستعملهما بهذا الحكم الجائر : من تمنطق فقد تزندق

يخيل الى انني اعيش فى عصر قبضت فيه الارض يدها عن العطاء مما فى بطنها اذ لا حفريات ولا بحث ولا تنقيب عن آثار وعاديات من الرقوق والكتب القديمة العهود التى تقطع بسيف الواقع كل افتراء وادعاء باطل

اتصور انني اعيش فى عصر لا اكتشاف فيه ولا اختراع يغير وجه الارض وعقليات الناس وتخميناتهم ويحد من عنادهم ويخفف من ضغط القوة الغاشمة التى كانت تفرض على الناس انواع العبادات والاعتقادات وتقطع على الناس ابحاثهم الطبيعية والفلكية كما تدخلت هذه القوة فى ابحاث غاليليو الفلكى الشهير عندما قال ان الارض متحركة وكان هذا خلافا لاعتقاد الناس ذلك الوقت فحكم عليه بالسجن . حيث كان يستطيع القوى ان يدوس الحق ويرفع الباطل بلا أخذ ولا رد، ولا دليل ولا برهان بل على قاعدة : «عنزة ولو طارت»

فما بلغ بى الخيال الى هذا الحد حتى ضاق صدرى وعيل صبرى فشرعت اطرح القلم لأفلت من هذا الخيال المحزن المميت واتخلص من كثافة هذه الظلمة التى جرت اذيالها الممتدة من تلك العصور الحالكة ، وقبل ان اطرح القلم جانبا اذا بى أرى وسط هذا الظلام الدامس خيوطا من النور تدلت أمامى وتخللت هذا الظلام . ثم انى تسللت كلمة فقبلت اذنى منها ركزاً فسمعت صوتا يقول : لا تجزع وامامك خيوط النور هذه فهى العقول التى بدأت

تأخذ بقضايا المنطق وتتمسك بالواقع وتحترم التاريخ وتستقرىء الآثار وتنشد البرهان المادى وتتجرد عن الهوى وتترك التعصب للفكر الشخصى وتسعى وراء الحق لتدركه وتعلنه، وان كانت خيوطا قليلة ورقيقة الا انها تتغلب على الظلام وتبدده . فالى هذه العقول اكتب فأنت فى القرن العشرين ولا بد للنور ان يتغلب على الظلمة مهما حاولت خفافيشها اطفاءه باجنحتها التى سوف تتحطم لكثرة اصطدامها حال تخبطها فى الظلام

وعندها تمسكت بالقلم ولم أرخه لان حياة الأمل قد عادت فى الحال وأخذت مجارى الايمان تفيض على القلم فيضانا خيل الى انه قد اخضر رمز اخضرار عود الأمل وصرت اكتب فى سرعة لا تعرف التوقف كمن يركض فى طريق معبدة شأن الذى صدق ما قيل له ان عقلية القرن العشرين ممهدة لقبول البرهان المنطقى والدليل الملموس

الى عقلية القرن العشرين اكتب

من المسلم به عند اليهود والمسيحيين والمسلمين ان الوحى الالهى ضرورى للبشر وقد ضمن تعالى وحيه فى كتب منزلة

والبراهين على ضرورة الوحى الالهى للبشر تكاد تكون واحدة عند أصحاب الاديان الثلاثة . فاذا قام اليهودى ليبرهن على هذه الضرورة هز المسيحى والمسلم رأسيهما موافقة وتصديقا .

واذا قام المسيحى بهذه المهمة أمن اليهودى والمسلم عليها . واذا اداها المسلم وجد من اليهودى والمسيحى اعتماداً واستحساناً

وها نحن نورد الادلة على : —

ضرورة الوحى للبشر

١ — شعور الناس بحاجتهم الى الوحى . وانهم يعرفون ان فى أصلهم

وطبيعتهم ونسبتهم الى خالقهم، والخطية وكيفية غفرانها وغلبتها، والخلود، مسائل بل مشاكل لا يقدرون ان يعرفوها ويحلوها من تلقاء ذواتهم، وعلى معرفتها وحلها تتوقف سعادتهم وطهارتهم

٢ — واذا سلمنا جدلا بان للفلاسفة قدرة على حل هذه المشاكل وراحة أفكارهم بالبراهين الفلسفية فيبقى سائر الناس فى اضطراب فكرى وحالة من اليأس لان ليس كل الناس فلاسفة بل الفلاسفة يعدون على الاصابع فى كل زمان ومكان

ومع ذلك فان الفلاسفة أظهروا عجزاً واعترفوا بعدم قدرتهم على حل تلك المشاكل العظيمة من جهة الله، والنفس والخطية، والخلاص والحياة الابدية وهذه اعترافاتهم :—

قال صولون الفيلسوف : «ان قصد الالهة مكتوم تماما عن البشر»

وقال فيريسيرس فى مضمون مؤلفاته : وهو ان ليس فيها شيء اكيد أو ما ارتضى به لانه ليس لى معرفة الحق

قال سقراط : «ان كل معرفة صحيحة بالآلهة هى من الآلهة» وقد مات هذا الفيلسوف معترفا بجهله مايكون فى المستقبل

وقال أفلاطون : «ليس لنا أن نعرف الحقائق الا من الآلهة أو من أنبياء الآلهة، وليس وسيلة لنعرف ارادة الآلهة الا بنبي يعلنها لنا

وايضا قوله : ان عقل الانسان يحتاج الى الانارة الالهية لفهم مايتعلق بالله كما تحتاج العين الى نور الشمس لترى الموجودات

ويقول شيشرون : ان كل الاشياء محاطة بظلمة دامسة تسترها حتى لا تقدر قوة عقلية ان تكشفها

وقوله أيضا فى سقراط ورفقائه من الفلاسفة انهم التزموا أن يعترفو بجهالتهم ويسلموا ان لاشيء يعرف ويفهم ويدرس تماما

وقوله كذلك نتبع التخمينات ولا نستطيع ان نتجاوزها خطوة واحدة

وقال فارو (وهو من مشاهير علماء الرومانيين فى القرن الذى قبل مجيء المسيح) جوابا لسؤال بعضهم له ما هو الخير الاعظم ؟ ان الفلاسفة اختلفوا فى ذلك وقدموا فيه ثلاث مئة وعشرين رأيا

وفى مدينة أثينا مركز الفلسفة الوثنية الشهير وجد فى عهد بولس مذبح لاله مجهول

وقال هيوم الكافر المشهور . ان الديانة فى كل أبوابها لغز وسر لا ينحل وجل ما نحصل عليه من أدق البحث عن هذا الموضوع هو الشك وعدم التأكد والتوقف عن الحكم

وهذا يوافق ما قاله بولس الرسول : «ان العالم لم يعرف الله بالحكمة» وفى سفر أيوب يقول : أ الى عمق الله تصل أم الى نهاية القدير تنتهى هو أعلى من السموات فماذا عساك أن تفعل ، اعمق من الهاوية فماذا تدرى أطول من الارض طوله وأعرض من البحر . أما الرجل ففارغ وعديم الفهم وكجحش الفراء ولد الانسان (اى ١١: ٧-١٢)

وسئل ابو بكر الصديق . بم عرفت ربك ؟ أجاب : عرفت ربى بربى ولولا ربى ما عرفت ربى

وسئل على بن أبى طالب : بما عرفت ربك ؟ قال : عرفت ربى بما عرفنى به نفسه . لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس ولا يشبه بالناس قريب فى بعده ، وفى قربه فوق كل شيء ولا يقال تحت كل شيء

فقد علمنا من هذا كله ضرورة اعلان الله للبشر بواسطة الوحى عن ذاته تعالى وصفاته وارادته ومقاصده وخير الناس وسعادتهم

وقد رأينا الاجماع العام على ضرورة الوحى لا فرق بين أصحاب الأديان الثلاثة وبين الوثنيين . والفلاسفة الكافر منهم والعابد للآلهة

بقى علينا ان نخطو خطوة اخرى فى طريق بحثنا هى : —

هل التوراة والانجيل موحى بهما ؟

ان الادلة على ان التوراة والانجيل قد كتبا بالهام الهى ووحى من الله كما يقول بولس الرسول : كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر (٢ تى ٣ : ١٦) وقول بطرس الرسول : لانه لم تأت نبوءة قط بمشيئة انسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس (٢ بط ١ : ٢١) وذلك لان التوراة والانجيل

١ — اشتملت على نبوءات الهية قد تم أغلبها فعلا وشهادات المؤرخين المنزهين عن الاغراض سواء كانوا من الوثنيين أو غيرهم دلت على أن اغلبها تم حقيقة لا سيما ما كان خاصاً ببنى اسرائيل الذين أنذرهم الله فى التوراة بسوء العاقبة اذا ابتعدوا عنه فتراهم الى هذا اليوم وفى كل بلاد العالم يعانون كل ما توعدهم به تعالى، حتى ان جد الامبراطور غليوم طلب من قسيس قصره أن يأتيه ببرهان على صدق الكتاب المقدس والبرهان لا يتجاوز الكلمة الواحدة فصمت القسيس برهة ثم قال : «اسرائيل» يا جلالة الامبراطور. فسر الامبراطور منه وقال حقا ان كل ما حل باليهود من اضطهادات وويلات لهو الدليل القوى على صدق الكتاب المقدس لأنه تنبأ عن كل شىء حل باليهود وعلى من يريد الوقوف بنفسه على هذه الحقيقة فليطالع الاصحاح السادس والعشرين من سفر اللاويين والثامن والعشرين من سفر التثنية

٢ — ان التوراة والانجيل تأيدا بالآيات والمعجزات الباهرة الدالة على ان مصدرهما هو الله الذى بيده السلطان على كل الطبيعة على السموات والارض وكل ما فيها فموسى الذى كتب التوراة شق البحر الاحمر وجعل العصا حية ويده بيضاء وضرب المصريين بعشر ضربات والمسيح شفى المرضى وأقام الموتى وأحيى العظام وهى رميم وفتح عين الاكمه واخرج الشياطين وكذلك الحواريون صنعوا معجزات باهرة

٣ — انها نزلت على أنبياء ورسل بررة صالحين أطاعهم الناس وصدقوهم لما تبين من حكمتهم وتقواهم فضلا عما صنعوه من العجائب والمعجزات لاثبات رسالتهم

٤ — ان الذين آمنوا بهذه الكتب المقدسة وسلكوا بموجبها كانت سببا فى سعادتهم ورفاهيتهم فى هذه الدنيا وفى العالم الآتى فكيف لا وقد هذبت الاغبياء وبددت ظلمات الجهالة وردت عن طرق الغواية والضلالة وجعلت من المتوحشين اناساً متمدينين ورفعت اما من حضيض الشقاوة الى أوج السعادة .

٥ — لأن هذه الكتب المقدسة لم تتضمن شيئا يناقض العقل والآداب والحقيقة فلا يمكن ان يكون اختراع البشر ، ويسلم من كل هذه الشوائب نظراً الى الاحوال التى كتب فيها وسمو مواضيعه

٦ — تضمن هذه الكتب المقدسة لحقائق سامية لا يمكن التوصل اليها بمجرد نور العقل أو الطبيعة وتصديقها على كل ما تشعر به ضمائرنا وطبيعتنا الأدبية وتوافقها مع نفوسنا كما يوافق الهواء الرئتين وكما توافق حرارة الشمس أرضنا ، ونفس الانسان بدون معرفة حقائق هذه الكتب المقدسة كالأرض بدون هواء ولا شمس .

٧ — ما فيها من وحدة المعنى مع التقدم فى ايضاح الموضوع فان اسفاره قد كتبت فى أزمنة متنوعة فى أثناء ألف وست مئة سنة بواسطة نحو خمسين شخصا ومع ذلك فان كل من يطالعها بالتدقيق يراها كتابا واحداً تأليف شخص واحد ناشىء عن عقل واحد فيرى فيه ان العهد الجديد يبين أشهر نبوءات العهد القديم .

٨ — طهارة تعاليمها وقداسة وصاياها .

٩ — توضيحها لطريقة الخلاص وقدرتها على ايقاظ الضمير وتنبيهه الى حالته

ولا غرابة فى ذلك لأن المولى تعالى انار عقول كتبة العهدين بروحه

القدوس فيما قالوه أو كتبوه وعصمهم من الزلل والخطل والنسيان في التبليغات الالهيـة فكان هو سبحانه وتعـالى المتكلم على ألسنتهم وأيديهم بالمعجزات الباهرة

شهادة القرآن بوحى التوراة والانجيل

١ ـــ وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس (آل عمران)

٢ ـــ وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه (المائدة)

٣ ـــ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله (المائدة)

٤ ـــ لقد آتينا موسى الهـدى واورثنا بنى اسرائيل الـكتاب هدى وذكرى لأولى الألباب (المؤمن)

٥ ـــ قل من انزل الـكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للنـاس قل الله (الانعام)

٦ ـــ ولقد آتينا بنى اسرائيل الـكتاب والحـكم والنبوة (الجاثية)

٧ ـــ ولقد مننا على موسى وهرون .. وآتيناهما الـكتاب المستبـين (الصافات)

٨ ـــ وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل (الحديد)

٩ ـــ وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون (الأنبياء)

١٠ ـــ ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان ضياء وذكرى للمتقين (الأنبياء)

١١ ـــ ولقد كتبنا فى الزبور من بعـد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون (الأنبياء)

١٢ ـــ انا نحن انزلنا الذكر وانا له لحافظون (الحجر)

١٣ ـــ والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم

يوقنون واولئك هم المفلحون (البقرة)

١٤ — الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون فى الجحيم ثم فى النار يسجرون (المؤمن)

هذه شهادات صريحة وردت فى القرآن على أن التوراة والانجيل هما وحى الله انزلها وارسلها وكتبها واودع فيها سننه وأحكامه وجعلها نورا وهدى وذكرا ودعاها فرقانا كما دعا القرآن

وعد الله بحفظ الكتب المنزلة

١ — انا نحن انزلنا الذكر وانا له لحافظون (سورة الحجر)

٢ — واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته (الكهف)

٣ — لاتبديل لكلمات الله (يونس)

٤ — ولن تجد لسنة الله تبديلا (الفتح)

وهذا الوعد يشمل التوراة والانجيل

اذا كان التوراة والانجيل كما ثبت مما تقدم من الآيات القرآنية انهما الذكر وكتاب الله وكلمات الله وسنة الله المودع فيهما حكم الله فيكون الوعد الالهى بالحفظ وعدم التبديل شاملا لها ولا يمكن لعاقل انيقول ان هذا الوعد خاص بالقرآن دون التوراة والانجيل ومن يقول هذا القول يرمى القرآن بالتناقض ويتهم عدالة الله وصدقه وحفظ مواعيده لانه تعالى بعد أن وعد وعدا مطلقا بحفظ الذكر الذى أنزله وعدم وجود من يبدل كلمات الله وسنته يرجع ويقصر وعده على القرآن فقط ويظهر عجزه عن حفظ التوراة والانجيل ! حاشا لله من ذلك

دعوى التحريف دسيسة على المسلمين

هل يعلم اولئك القائلون بتحريف التوراة والانجيل من أى ان نبع سام زعوا ومن أى معمل جهنمى استمدوا سهام طعنهم ؟ انهم من ينابيع الكفر استقوا ومن معامل الالحاد تسلحوا ضد التوراة والانجيل

ان قصيرى النظر وهم قلة فى المسلمين كانوا كالاطفال الذين يخرجون الى اللعب فى الفيافى والقفار فيلتقطون الحشائش والثمار السامة ويتناولونها دون أن يعرفوا ما بها من اضرار واخطار وذلك حين دفعهم حب الظهور ليكتبوا وليقال عنهم انهم هاجموا صرح المسيحية فهدموه أو ليقال عنهم أن علماء أعلام وأبطالا مغوارين صالوا وطالوا فراحوا يلعقون من أوان ملأها الملاحدة الكفار من سموم كفرهم وجماعة الحلوليين والذين يؤلهون الكون ، والذين يعتبرون المادة مستقلة عن عناية الله وقائمة بنفسها ، وان لها قوى العقل وقوة التمييز . والذين يعظمون النواميس الطبيعية ويقيمونها مقام الله فى تسلطها ؛ والذين يعتبرون العقل انه المرشد العظيم للبشر فى ما يتعلق بالديانة .

اولئك الذين آثروا اتباع أهوائهم فضلوا عن الحق ولم يعتقدوا بنبى أو رسول وانكروا البعث والنشور فاجتهدوا فى اطفاء نور الوحى الالهى حتى لا تثور ضمائرهم ولا تتأذى عيونهم الرمداء من نوره القوى الساطع الوهاج ولا تتمثل فى مرآته شناعة فجورهم فراحوا يطعنون على التوراة والانجيل ويرمونهما بالتحريف والخطأ والتناقض ليقللوا من أهمية الوحى وكتب الوحى حتى تتساوى بالعقول التى يعتمدون عليها والتى يقولون بانها كافية للوصول الى الحقائق التى يعلنها الوحى فى الكتب المقدسة

هذا هو الدافع الذي دفع منكرى الوحى إلى رمى التوراة والانجيل بالتحريف والغلط والتناقض

ولكن ما هو قصد البعض من المسلمين حين نقلوا عن الكفرة الملاحدة نقلا لم يستعملوا فيه فكراً ولا عقلا ولا فكروا فى عواقبه

ولذلهم عنـــد ما نقلوا انتقادات الـكفرة على التوراة والانجيل كانوا نقلوا أيضا ردود المسيحيين التى أفحمت الـكفرة الملاحدة ،لو فعلوا هذا لكانوا أسدوا إلى العالم وإلى أنفسهم وإلى دينهم أجل الخدم اذ كانت تتاح الفرص لطلاب الحق أن يقارنوا بين هجمات الملحدين وردود المسيحيين وعندها يصدر الحكم السليم على الغث من السمين وحتى إذا دارت الدائرة وانقلب الـكفرة على القرآن بالطعن بذات السلاح الذى طعنوا به التوراة والانجيل يجد هؤلاء المسلمون ما يردون به هجمات الملاحدة على القرآن كما ردهم المسيحيون عن التوراة والانجيل

ولـكن هو حب الظهور على حساب الحقائق الالهية وعلى حساب دينهم وقرآنهم أيضا لأنهم لا يدرون أن ما يسرى على التوراة والانجيل يسرى على القرآن أيضا لأن كلا من أصحاب الأديان الثلاثة يعتبر كتابه موحى به من الله وما دامت التوراة والانجيل الموحى بهما من الله قد تحرفا وثبتت اغلاطهما وتناقضهما فيكون القرآن والحالة هـــذه عرضة للتحريف والاغلاط والتناقض وهذه نتيجة منطقية ونحن اذا دافعنا عن التوراة والانجيل نكون فى نفس الوقت قد دافعنا عن القرآن بانه غير قابل للتحريف والتبديل

متى تحرفت التوراة هل قبل القرآن او بعده ؟

إذا قلتم تحرفت قبل مجىء المسيح ورسله . قلنا لـكم أن المسيح قد اقتبس جملة شواهد من العهد القديم وحث اليهود على تفتيش هذه الـكتب قائلا : فتشوا الـكتب لانكم تظنون أن لـكم فيها حياة أبدية وهى التى تشهد لى (يو ٥:٣٩) وقد وبخ الصدوقيين على عدم معرفة هذه الـكتب المقدسة قائلا « تضلون إذ لا تعرفون الـكتب ولا قوة الله » (مر ١٢:٢٤)

وهكذا رسل المسيح اقتبسوا من كتب العهد القديم شواهد كثيرة

فى كلامهم كقولهم لانه مكتوب فى سفر المزامير لتصر داره خرابا ولا يكون فيها ساكن وليأخذ وظيفته آخر (اع ١ : ٢٠) وهذه نبوءة عن يهوذا تلميذ المسيح الذى أسلمه (واع ٢: ١٦-١٨) قولهم : بل هذا ماقيل بيوئيل النبى يقول الله ويكون فى الايام الأخيرة انى أسكب من روحى على كل بشر الخ .

وتعوزنا الصحائف لكى نذكر مئات الاقتباسات والرموز والنبوات التى اتخذها كتبة العهد الجديد من العهد القديم وطبقوها على النظام المسيحى والعهد الجديد

فهل يعقل أن المسيح ورسله يثبتون تعاليمهم من كتب محرفة ويحثون الناس على تفتيش مثل هذه الكتب ؟ أم تقولون أن المسيح ورسله كان يخفى عليهم هذا التحريف الذى حل بالتوراة لذلك اقتبسوا منه وهم لا يدرون ؟

ان قلتم هذا طعنتم فى علم الله ونسبتم له الجهل لان القرآن يقول صريحاً ان الانجيل تنزيل الله كما جاء فى (سورة آل عمران) قوله: « وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس » وفى (سورة المائدة) قوله : وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه وفى (سورة الحديد) قوله « وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل »

وان قلتم ان التحريف صار من اليهود بعد زمن المسيح ورسله . نقول لكم أن التوراة من ذلك الوقت فصاعداً كانت موجودة بين أيدى المسيحيين كما أنها كانت موجودة بين أيدى اليهود

فهل يعقل أن اليهود يتجاسرون على تحريفها وهم يعلمون بوجودها عند النصارى .

واما اذا قلتم أن الذين حرفوا التوراة هم النصارى ، فما قلناه بخصوص اليهود نقوله بخصوص النصارى بأنهم لا يمكنهم أن يتجاسروا

على تحريف التوراة وهم يعلمون بوجودها عند اليهود خصومهم الذين لا يمكنهم أن يسكتوا على هذا التحريف.

ومع ذلك فإن التوراة لا زالت باقية عند الفريقين إلى الآن بذات اللغة العبرانيـة التى كتبت بها وصارت مقابلتهما مع بعضهما بواسـطة علماء كثيرين فوجدتا فى غاية الاتفاق

أم تقولون ان اليهود والنصارى قد اتفقوا معاً على تحريف التوراة؟

وهذا لا يمكن لعاقل أن يقول به لأن اليهود المعاندين للنصـارى والمنكرين لمجيء المسيح لا يمكن أن يتفقوا معهم على تحريف التوراة

فهل اتفق اليهود مع النصارى على اضافة النبوءات الواردة فى التوراة عن لاهوت المسيح وناسوته وولادته فى بيت لحم من عذراء ومن نسل داود وعن الزمان الذى يتجسد فيه ويموت وعن المعجزات التى يجريها والآلامات التى يكابدها.

وهذه النبوءات والدلايل الواردة عن المسيح تشغل كل اسفار التوراة

فهل اتفق اليهود مع النصارى على هذه الاضافات حال كونهم يعارضون المسيح فى تصريحه بلاهوته وبأنه هو المسيح وقد صلبوه لأجل هـذا كله وكانوا يقاومون تلاميذه ويضطهدونهم لانهم كانوا يبشرون بأن المسيح هو ابن الله الذى سبق الأنبياء وتنبأوا عنه.

وهل اذا أراد النصارى بكل الطرق ان يتواطأوا مع المسلمين على اضافة آيات الى القرآن تثبت التثليث والتوحيد ولاهوت السيد المسيح فهل يسلم المسلمون بذلك ضد اعتقادهم

اذن كيف يمكن لليهود اعداء النصـارى ان يضيفوا شيئاً لكتابهم بخصوص المسيح الذى أنكروه وصلبوه

واذا قلتم ان التحريف صار فى العهـد الجديد من النصـارى نقول لكم متسائلين: متى حرف النصارى انجيلهم؟ هل حرفوه قبل القرآن أم بعده؟

فان قلتم ان الانجيل تحرف قبل نزول القرآن تقعون فى ورطة لا قبل لكم على الخلاص منها الا بالتوبة والرجوع الى الحق والعودة الى الصواب فتعترفون بان التوراة والانجيل لم يعترهما تبديل ولا تحريف

وها كم الورطة تلو الورطة :

اذا كانت التوراة والانجيل قد تغيرا وتبدلا وتحرفا قبل القرآن فكيف يقول الله تعالى لمحمد :

١ — فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك (سورة يونس)

ألا تقول معى أيها المسلم كيف يحيل الله محمداً على أهل كتاب محرف ليسألهم ويزيل الشك من قلبه وأنت وأنا نعلم انه لا يزيل الشك من قلب الانسان إلا اليقين وإذا كان الله يعلم ان التوراة والانجيل قد سبق تحريفهما قبل نزول القرآن فكيف يجعل من سؤال أصحابهما مزيلا لشك محمد وهو تعالى يعلم انهما كتابان محرفان لا يعول عليهما وما ورد فيهما ليس من اليقين بمكان ؟!

أم تقولون أن الله تعالى لم يكن عالماً بما حدث للتوراة والانجيل من تحريف وتغيير وتبديل حين أحال محمداً على أصحاب التوراة والانجيل لسؤالهم وإزالة الشك من قلبه ؟

أم تتهمون الله تعالى بانه كان يخدع محمداً إذ أحاله على كتاب مشكوك فى صحته ليزيل الشك من قلبه ؟

أم ان منطقكم انه لا يزيل الشك إلا الشك ؟!

اسمعوا ما يقول القرآن

(٢) وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه (المائدة)

(٣) وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه (الانعام
فكيف تكون التوراة والانجيل محرفين قبل نزول القرآن وكيف ينزل القرآن الذى تقولون انه كتاب الحق — مصدقا على كتاب محرف لعبث به أيدى التغيير والتبديل والنتيجة المنطقية لطيشكم هى : ان الذى يصادق على المحرف محرف والذى يصادق على الباطل باطل ؟ !

فكيف ينزل القرآن مهيمناً على كتاب محرف تغير وتبدل ، والهيمنة هى الحراسة ، والحراسة على التوراة والانجيل معناها الاحتفاظ بما فيهما من حقائق إلهيـة كما أنزلت ومنع الناس عن التلاعب بهما أو إضاعتهما أو تحريفهما .

فاذا كانا قد تحرفا قبل القرآن فعلى مَ الحراسة والهيمنة وما الذى يعود على التوراة والانجيل من الفائدة إذا نصب القرآن نفسه مهيمناً عليهما بعد أن سلب ما فيهما من لب وجوهر أنه لافائدة من هذه الحراسة بل هناك ضرر محقق إذ ينخدع الناس بهذين الكتابين المحرفين حين يرون رجلا عظيما كمحمد واقفاً كحارس مهيمن عليهما فيظنون ان فى القبة شيخاً والحال انهما كتابان قد خليا من الجوهر ومابقى فيهما إلا المحرف المكذوب

ألا يضطر الحارس المهيمن أن يقول لمن أرسله مهيمنا بعد التحريف : سرقوا الصندوق يامحمد ومفتاحه معاى؟

لا . لا . أيها الاخوان إذا رضيتم للقرآن بهذا الوضع فنحن لا نرضى لأن لنا فى احترامه مصلحة وهو انه شهد للتوراة والانجيل شهـادات عظيمة فاسمعوا واحدة أخرى من هذه الشهادات :

(٤) فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون . وقد آتينـا موسى وهرون الفرقان ضياء وذكرى للمتقين (الأنبياء)

(٥) وقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحين (الانبياء)

(٦) إنا نحن أنزلنا الذكر وإنا له لحافظون (الحجر)

(٧) واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته (الكهف)

(٨) لا تبديل لكلمات الله (يونس)

فقد اعتبر القرآن توراتنا وانجيلنا ذكراً وفرقانا وضياء وذكرى ووعد بحفظ هذا الذكر وعدم تبديله وأمر المسلمين أن يسألونا فى مالا يعلمون

أليس هذا دليلا على أن القرآن يعتبر كتبنا المقدسة صحيحة وغير محرفة وموضوع ثقة ويقين

وماذا يكون موقفكم أيها القائلون بتحريف التوراة والانجيل لو أن بعضاً ممن يؤمنون بالقرآن ويأتمرون بأمره ويهتدون بهديه أخذوا طريقهم الى أصحاب التوراة والانجيل عملا بقول القرآن ليسألوا أهل الذكر عما لا يعلمون وصادفوكم فى طريقهم وقالوا لكم نحن ذاهبون الى أهل الذكر نسألهم عما لا نعلم فهل كنتم تقولون لهم أرجعوا ولا تسألوهم لأن ذكرهم قد محرف وتبدل وتغير؟ وهل كانوا يصدقونكم أم يصدقون القرآن الذى قال لهم اسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ؟!

ألا تخشون أيها المفترون أن يقولوا لكم كيف يقول الله تعالى :

(٩) فى القرآن « إنا نحن أنزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ثم بعد ذلك يترك التوراة والانجيل اللذين هما الذكر يعبث بهما العابثون يحرفونهما ويبدلونهما ويغيرونهما ويقف الله تعالى مغلوبا على أمره مكتوف اليدين غير قادر على إنجاز وعده بحفظ الذكر — التوراة والانجيل

وإذا كان الله تعالى يعجز عن حفظ عهوده ومواعيده الواردة فى القرآن بحفظ الذكر فما فائدة جميع الكتب المنزلة وما فيها من مواعيد إلهية ؟!

وماذا يكون حالكم لو انقلب عليكم الكفرة والملحدون الذين انزلقتم وراءهم، وأخذتم عنهم ما طعنوا به كتب الوحى ورموا قرآنكم بما رموا به التوراة والانجيل ؟ أتقولون لهم ان الله وعد بحفظ الذكر وقرآننا ذكر فلا يمكن لأحد أن يحرفه؟ وماذا يكون ردكم فيما لو قالوا لكم ان التوراة والانجيل هما ذكر وذكرى حسب آيات القرآن الواردة عنهما وهو ذا أنتم

يا أصحاب القرآن قد سلمتم بتحريف الذكر وقلتم أن التوراة والانجيل محرفان وقد تغيرا وتبدلا رغم الوعد الالهي بأن يحفظ الذكر

فأى سلاح تشهرون فى وجه الملاحدة بعد أن كان فى يدكم وطرحتموه وحاولتم إسقاطه من يد أهل التوراة والانجيل

وهكذا يكون مصير الذين يندفعون وراء شهوة النفس الامارة بالسوء اندفاعا لا يميز صاحبه بين الضار والنافع ولا يمتد بصره إلى ما هو أبعد من تحت قدميه فيرتطمون بصلد الصخور التى لا تلين ولا ترحم !

بماذا تجاوبون الذين يسألونكم قائلين كيف يقول القرآن :

(١٠) الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (البقرة)

(١١) الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الجحيم ثم فى النار يسجرون (المؤمن)

(١٢) قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابرهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم (البقرة)

فكيف يجعل الله مصير الناس متوقفاً على الايمان بكتاب محرف غيرته أيدى الناس ولعبت به الأهواء والشهوات

وكيف يأمر القرآن الذين آمنوا ألا يفرقوا بين قرآنهم وبين الذى أنزل من قبل وهو تعالى يعلم بأن الذى أنزل من قبل محرف ومتغير ألا يكون هذا اتهاماً لعدالة الله وحكمته

فلو أن التوراة كانت محرفة فى زمن محمد لكان القرآن يمتدح الذين يرفضون التوراة والانجيل ولا يعملون بحكمها ولكنه تعالى قد هدد الذين لا يقيمونهما ويعتبرهم كافرين يتوعدهم بصارم العقاب

شيء من المنطق يا قوم !

أنتم تعلمون والعالم كله يشهد وبطون التواريخ تنادى بأن المسيحيين الذين آمنوا بالمسيح فى عصر الرسل الى أوائل الجيل الرابع بعد المسيح قد حلت عليهم أروع الاضطهادات والتعذيبات والتنكيلات من اليهود والوثنيين واحتملوها بصبر أدهش معذبيهم وهذا الاحتمال المدهش نشأ عن عقيدتهم فى الانجيل وتمسكهم به باعتباره كلام الله . سلموا وفرحوا بسلب أموالهم وأملاكهم وأرواحهم حبا فى المسيح وطاعة لانجيله وكثيرون منهم ضوعفت عذاباتهم ومع ذلك فلم يرتضوا أن ينكروا المسيح أو يرفضوا إنجيله

فهل يتصور العقل أن المسيحيين الذين تمسكوا بدينهم إلى هذا الحد يرتضون بتحريف انجيلهم . أولئك الذين لم يسمح لهم ضميرهم ان ينكروا المسيح ولو فى الظاهر حتى يتخلصوا من مرير العذاب وشديد الاضطهاد الذى لو وقع على الجبال الراسيات لمادت هل يسمح لهم هذا الضمير أن يحرفوا انجيلهم ؟ !

أما يعلمون أن هذا العمل مغضب لفاديهم المحبوب الذى يموتون لأجله كل يوم بالالوف شهداء معترفين . لا سيما وأن سيدهم المسيح معبودهم الحقيقى الذى عبدوه بدمائهم وأرواحهم وأموالهم وأولادهم وكل ثمين لديهم قد ختم عهده الجديد — انجيله — على يد رسوله الأمين يوحنا صاحب الرؤيا قائلا : « لأنى أشهد لكل من يسمع أقوال نبوءة هذا الكتاب ان كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة فى هذا الكتاب . وان كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوءة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب فى هذا الكتاب » (رؤ ٢٢ : ١٨ و ١٩)

فهل لكم يا قوم أن تصوروا الثمن الذي قدم للنصارى نظير ارتضائهم بتحريف كتابهم وهل كان هذا الثمن أفضل من حياتهم الدنيوية التي كانوا يضحونها كل يوم في سبيل الثبات في طاعة الانجيل، وحياة أولادهم وضياع أموالهم وأملاكهم، بل هل لكم ان تذكروا لنا الباعث للنصارى على تحريف كتابهم وهل يكون هذا الباعث أفضل من سعادتهم الأبدية التي سوف يخسرونها بتحريفهم الانجيل، وأقوى من التهديدات واللعنات المزمعة أن تحل على كل من يزيد أو ينقص في الانجيل

أم تقولون أن التحريف لم يصر من المسيحيين الاتقياء بل صار من أناس أشرار بينهم ؟!

إذا فرضنا أن المسيحيين الأشرار حرفوا الانجيل الموجود بينهم فيكون الانجيل الموجود عند المسيحيين الاتقياء باقياً بدون تحريف إذ لا يعقل أن المسيحيين الاتقياء يتحدون مع الأشرار في تحريف انجيلهم لان طبيعة الأشرار لا تتفق مع الأتقياء ولا يمكن لقائل أن يقول أن الاتقياء خافوا من الأشرار فسلموا لهم بالتحريف بعد ان ثبت كيف أن المسيحيين لم يرهبوا الموت ولا خافوا قياصرة الرومان ولا فزعوا من العذابات بل صمدوا لها حباً في المسيح والانجيل. فهل مثل هؤلاء المسيحيين يخافون من جماعة أشرار بينهم ؟

أم حدث التحريف بعد القرآن ؟

إذا قلتم هذا القول تطعنون :

(١) في صدق مواعيد القرآن لأنه شهد بان الله حافظ للذكر وأن لا تبديل فيه. وإليكم ما جاء فيه : إنا نحن أنزلنا الذكر وإنا له لحافظون (سورة الحجر) فكلمة « لحافظون » في صفة اسم الفاعل تدل على أن الوعد بحفظ الذكر لا يشمل الماضي بل الحال وينسحب على المستقبل

في المفصل للزمخشري : إنه يشترط في أعمال اسم الفاعل أن يكون في معنى الحال والاستقبال

فاذا قال القرآن : « إنا نحن أنزلنا الذكر وإنا له لحافظون » دل اسم الفاعل على أن الوعد بالحفظ هو في الحال والاستقبال

ومما يؤيد هذا قوله أيضاً في سورة يونس : « لا تبديل لكلمات الله » وقوله (في سورة الفتح) « ولن تجد لسنة الله تبديلا » ومعلوم أن حرف لن لتأكيد ما تعطيه لا من نفي الفعل في المستقبل . فاذا قال القرآن « ولن تجد لسنة الله تبديلا » كان الوعد بعدم التبديل ليس عن الماضي بل ينسحب على المستقبل

وكيف يمر بعقل مؤمن بالقرآن أن يسمع القرآن يقول : ولن تجد لسنة الله تبديلا . ثم يقول انه وجد من يبدل سنة الله ويشهد ضد وعد القرآن على أن الله رجع عن وعده تعالى واخلف عهده ومواثيقه وترك اليهود والنصارى يحرفون التوراة والانجيل الذى فيه سننه وأحكامه

والحال إننا نرى جميع السنن والشرائع الطبيعية التى وضعها سبحانه وتعالى لم تتغير ولم تتبدل . فهو ذا الشمس تشرق في الصباح وتغرب في المساء . والأرض لا تزال تدور دورتيها الواحدة حول نفسها كل يوم والثانية حول الشمس كل سنة دون أن يتغير هذا النظام ، وهكذا كل النواميس الطبيعية محفوظة بلا تغيير . فلماذا يعجز الله عن حفظ نواميسه وسننه الأدبية والروحية في التوراة والانجيل ؟

(٢) يطعنون في مهمة القرآن

إن المسلم الذى يقول ان التوراة والانجيل قد حرفا وتبدلا وتغيرا إنما يطعن في مهمة القرآن التى أنيطت به كما جاء في (سورة المائدة) قوله : « وأنزلنا اليك الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه »

والهيمنة معناها الحراسة والحفظ كما فسرهذا أئمة المسلمين « ومهيمناً » إسم فاعل مدلوله كدلول « لحافظون » يدل على الهيمنة في الحال والاستقبال

فاذا كانت التوراة والانجيل قد تحرفا بعد القرآن المهيمن فيكون هذا اتهاما لاهل القرآن بالتفريط فى أهم الواجبات التى جاء القرآن لتأديتها وكان من أقدس الواجبات وأوجبها على أصحاب القرآن انهم على الأقل يحتفظون بنسخة أو بعض النسخ من التوراة والانجيل ويعرفونها جيد المعرفة ويقفون على كل فصل من فصولها وسفر من أسفارها ليقوموا بواجب الهيمنة والحراسة على الوجه الاكمل، وهذا أقل مايعمل فى حراسة الحراس على عهد انهم لايتسلمونها ولايوقعون على محضر التسليم إلا بعد الجرد والوقوف على المحتويات لاخلاء أنفسهم من المسؤولية التى تقتضيها أمانة الحراس .

لا سيما وأن المسلمين يعتقدون أن فى التوراة والانجيل نبوءات ودلائل عن محمد فكما أن المسيحيين لما رأوا أن التوراة كلها نبوءات وإشارات ودلائل عن المسيح سيدهم احتفظوا بتوراة اليهود وهم الذين يقومون بطبعها وحراستها إلى هذا اليوم ويدرسونها قبل الانجيل ومع الانجيل هكذا كان واجب المسلمين أن يحتفظوا بنسخة من التوراة والانجيل ولا عذر للمسلمين على عدم حصولهم على نسخ التوراة والانجيل إذ لا يستطيعون القول أن التوراة والانجيل كانا مكتوبين باللغة العبرانية واليونانية فقط ومحمد لم يكن يعرف هاتين اللغتين . ولا العرب أيضاً ، يستطيعون أن يقولوا هذا لأن الكتاب المقدس كان فى زمن محمد مترجماً إلى لغات كثيرة لا سيما اللغة العربية وذلك قبل ظهور الاسلام ترجم لفائدة العرب الذين تنصروا كقبائل حمير وغسان وربيعة وأهل نجران والحيرة وغيرها من تلك القبائل التى لا يعقل أن تكون قد آمنت بالمسيح بدون تبشير ، والتبشير لا يكون إلا بالإنجيل والانجيل لا يبلغ الى العرب إلا بلغتهم كسائر شعوب الأرض الذين بلغت اليهم بشرى الخلاص بلغاتهم .

ومالنا وهذا كله وصحيح البخارى يقطع كل شك إذ جاء فيه

ن ورقة بن نوفل (وهو من أشهر كتبة العرب فى زمن محمد) كان يكتب الكتاب العربى فكتب بالعربية ما تيسر من الأنجيل ما شاء أن يكتب .

يقولونه المستحيل ويلفظه العقل

ان القول بان النصارى حرفوا الأنجيل بعد زمن محمد لهو قول مستحيل لا يقبله العقل لأسباب كثيرة :

أولا — أن الديانة المسيحية فى تلك المدة كانت منتشرة بين ممالك وولايات عديدة كالأناضول والشام واليونان ومصر وشمالى أفريقيا وأغلب بلاد العرب والعجم والهند وإيطاليا وفرنسا واسبانيا وانجلترا والمانيا فهل يمكن أن العقل السليم يسلم باجتماع النصارى الموجودين فى هذه الأماكن المتعددة والمتباعدة عن بعضها فى مكان واحد واتفاقهم معا على تحريف الأنجيل .

ثانياً — أن الذين صاروا مسيحيين فى تلك الممالك لم تكن لهم لغة واحدة بل لغات متعددة والكتاب الذى كان موجوداً بينهم قد كتب أيضاً بلغات متعددة فكيف يمكنهم ان يجتمعوا معاً ويجروا هذا العمل حال كونهم يجهلون لغات بعضهم . نعم لو كان جميعهم مقيمين فى جهة واحدة ولهم لغة واحدة لكان يمكنهم ان يجروا هذا العمل ان كانوا جميعهم قد خلوا من مخافة الله

ولكن من حيث انهم متفرقون فى أماكن وقارات متعددة ومتباعدة عن بعضها ولغاتهم أيضاً مختلفة فلا يقدرون على إتمام هذه المؤامرة الآثمة

ثالثا — ان المسيحيين كانوا فى ذلك الوقت منقسمين الى طوائف

متعددة ولا زالوا على هذا الخلاف الى يومنا هذا وكل مذهب منهم ضد الآخر ومع كل ذلك فان كل مذهب يثبت آراءه من الكتاب المقدس فهل ينتظر أن هذه الطوائف والمذاهب المختلفة تتفق معاً على تحريف الانجيل.

فاذا كانوا قد انقسموا الى مذاهب واصبحوا فى حالة عداوة شديدة لحد فضلوا معه ان يدخل محمد الخامس الفاتح الى القسطنطينية ويضيع استقلالهم على ان يكفوا عن مجادلاتهم وحربهم المذهبية بخصوص تفاسير كلمات فى انجيلهم .

ولفرط ما أسرفوا فى الجدل والنقاش حول تفسير كلمات ، قال محمد الفاتح ان عقد مذاهبكم لا يحلها الا سيفى فاعمله فى رقابهم وهم غارقون فى جدلهم ونقاشهم .

فهل يعقل ان مثل هؤلاء المسيحيين يتفقون فيما بينهم على تحريف نصوص التوراة والانجيل وهم الذين لفرط سهرهم وحرصهم على كتابهم المقدس وتفسيره خاصموا بعضهم لحد ان مسيحي مصر فتحوا أبواب بلادهم للعرب المسلمين وساعدوهم على طرد الروما المسيحيين وذلك لكراهيتهم للرومان كراهية نشأت عن اختلاف فى تفسير بعض نصوص الانجيل :

أم تقولون ان كل فرقة من فرق النصارى حرفت ما بيدها من الانجيل .

نقول لو كانت كل فرقة أجرت تحريفاً فى الانجيل على حدة لكانت أزالت من الانجيل الآيات المضادة لآرائها الخصوصية ومن ثم كان يصير اختلاف نسخ الانجيل الموجودة عند تلك الطوائف ، ولكن اذا قابلنا النسخ العديدة الموجودة عند سائر الطوائف النصرانية لا نجد بينها اختلافا فى عقيدة من العقائد أو فى واجب من الواجبات

فلو كانت كل فرقة حرفت الانجيل لوحدها بدون ان تتحد مع باقى

الفرق فى احداث التحريف لما كان يوجد اتفاق بين النسخ وبعضها . د
لا يمكن ان التحريف يكون واحداً فى النسخ بدون اتفاق تلك الطوائف
والمذاهب على التحريف

متى وأين وكيف اتفقنا على التحريف؟

قولوا لنا متى وأين وكيف اجتمع ملايين العالم من مسيحيين ويهود
وتواطأوا مع بعضهم على تحريف التوراة والانجيل وهل كان ذلك قبل
محمد أو بعده ؟

ان هناك مؤرخين من اليهود والنصارى والمسلمين والوثنيين اهتموا
فى كل زمان ومكان بان يدونوا كل صغيرة وكبيرة من حوادث العالم
وسجلوا فى تواريخهم ما استلفت انظار الناس عموما وما لم يستلفت إلا
انظار الخاصة .

فهل يستطيع القائلون بتحريف التوراة والانجيل ان يدلونا على
مؤرخ مسلم كان أو وثنى أو يهودى ذكر شيئاً ولو عابراً عن مؤتمر أو مجمع
ضم جميع اجناس البشر من جميع القارات من يهود ومسيحيين على اختلاف
لغاتهم ولهجاتهم لتحريف الكتاب المقدس — التوراة والانجيل —
وأى قطر من اقطار العالم وسعهم ومن هو الدكتاتور العالمى الذى ساد العالم
وأكره اليهود والنصارى فى كل العالم على ان يحمل كل واحد منهم أو
جماعة نسخ توراتهم وانجيلهم وما هى سفن العالم العديدة التى حملت
شحنات التوراة والانجيل الى صعيد واحد لتحريفها وما هى القوة
القاهرة التى سيطرت على الخفى والظاهر حتى لم تفلت نسخة واحدة من
نسخ التوراة والانجيل دون أن أرسلت عيونها وارصادها ونوز كشافها
فوق الارض وتحت الارض حتى لم يستطع واحد من ملايين اليهود

والنصارى ان يخفى نسخة من التوراة أو الانجيل لتبقى شاهدة على الذين حرفوا التوراة والانجيل؟

لقد قرأنا كتباً خرافية كثيرة عن أعمال لا يقبلها العقل وتدخل ضمن أعمال الجن والعفاريت تحكى عن أكبر الحوادث التى تحتاج الى سنين كأنها حدثت فى لمح البصر بلا عناء ولا مجهود.

فهل عثر أحد حتى على كتاب خرافى ذكر فيه ان العالم المسيحى واليهودى من جميع انحاء المعمورة قد اجتمعوا فى صعيد واحد وزالت العداوة من بين اليهود والنصارى وانتهت فيها الانقسامات بين المسيحيين ومذاهبهم المختلفة على حساب تحريف التوراة والانجيل

فاذا كان العقل السليم وحتى نصف العاقل والتواريخ والكتب الخرافية لا تسلم أو تتصور اجتماعا كهذا ولا سجلت بتخيلات الجن والعفاريت خرافة كهذه ! فكيف يجسر عاقل يعيش فى القرن العشرين على القول ان اليهود والنصارى تواطأوا على تحريف التوراة والانجيل فى كل العالم ؟.

يعجزون عن الدليل وأمامى فنقدم

- ثم تقدم الأدلة على عدم امكان التحريف

أولا — وجود نسخ قديمة من الكتاب المقدس قبل القرآن وبعده ومن هذه النسخ النسخة المعروفة بالفاتيكانية لوجودها الآن بالفاتيكان وقد نسخت قبل الهجرة بمائتين وخمسين سنة

ومنها النسخة السينائية نسبة الى طورسينا الذى وجدت فيه وهى الآن موجودة فى مدينة بطرسبرج عاصمة الروسيا فى المكتبة الملوكية وتشتمل على التوراة والانجيل معا وقد نسخت قبل الهجرة بمائتى سنة أو

مائتين وخمسين سنة . ومنها النسخة المعروفة بالاسكندرية وهى موجودة الآن فى مدينة لندن فى متحفها الشهير وقد نسخت قبل الهجرة بمائتى سنة ومنها النسخة المعروفة بالأفرامية وهى الآن فى مدينة باريس فى المكتبة الملوكية وقد كتبت فى الجيل الخامس للمسيح قبل مجىء محمد بمائة سنة وقد قوبلت تلك النسخ المكتوبة قبل القرآن مع النسخ الموجودة الآن بين أيدى اليهود والنصارى فوجدت مطابقة لها أشد المطابقة وهذا دليل واضح على عدم تحريف الكتب المقدسة لأنه لو كان حدث تحريف فى التوراة والانجيل لما كان يوجد اتفاق بينها وبين تلك النسخ

ثانيا – توجد عدة كتب قد كتبت من المعلمين الأتقياء الذين عاصر بعضهم الحواريين وبعضهم جاء بعدهم فنها ما ألفه اكليمندس الرومانى وأغناطيوس ويوستينس الشهيد وايريناوس واكليمندس الاسكندرى وقد وضعوا مؤلفاتهم هذه فى الجيل الأول والثانى من التاريخ المسيحى ومنها ما ألفه أوريجانوس وكبريانوس وأوسابيوس وافرايم السريانى وأمبروسيوس وباسيليوس ويوحنا فم الذهب وايرونيموس واغوسطينوس وقد وضعوا مؤلفاتهم فى القرن الثالث والرابع وتآليفهم لا تزال محفوظة عند الطوائف المسيحية الى الآن . وهؤلاء الآباء المؤلفون قد أوردوا فى مؤلفاتهم هذه جملة آيات من العهد القديم والعهد الجديد حتى قيل انه لو ضاع الانجيل لأمكن جمعه مرة ثانية من الآيات التى اقتبسها أوريجانوس فى مؤلفاته .

واذا قابلنا هذه الاقتباسات مع ما فى نسخ التوراة والانجيل التى يتداولها الآن النصارى واليهود نرى انه لا يوجد فرق ولا اختلاف بينهما . فوجود اتفاق بين الاقتباسات التى اقتبسها أولئك المعلمون من التوراة والانجيل اللذين كانا بين أيديهم فى تلك الأيام وبين النصوص التى فى التوراة والانجيل الموجودين عند النصارى واليهود الآن لهو دليل قاطع على عدم وقوع تحريف فى كتب الله

ثالثا — وجود موافقة بين العقائد المسيحية المتضمنة فى تأليفات أولئك الآباء المعلمين وغيرهم مع العقائد المسيحية المتمسك بها المسيحيون الآن هو دليل على عدم تحريف للكتب المقدسة

ويوجد أيضاً أشخاص غير الذين ذكرناهم بعضهم شاهد الرسل بالعيان وسمع كلامهم بأذنه وبعضهم عاين الذين عاصروا الرسل ومنهم برنابا الذى كان رفيقاً لبولس الرسول فانه توجد الى يومنا الحاضر رسالة من مؤلفاته . ومنهم هرماس الذى ذكر اسمه بولس الرسول فى رسالته الى أهل رومية واكليمندس الذى ذكر أيضاً اسمه بولس الرسول فى رسالته الى اهل فيلبى وكان موجوداً فى سنة ٩٨ مسيحية . وبوليكربوس أحد تلاميذ يوحنا الرسول وكان موجوداً فى سنة ١٠٨ مسيحية ومنهم بافياس الذى سمع كرازة يوحنا الرسول وكان رفيقا لبوليكربوس

فمن يطالع مؤلفات هؤلاء المعلمين الذين ذكرناهم والذين لم نذكرهم يتضح له جليا بان وجود ثلاثة أقانيم فى الاله الواحد ، ولاهوت المسيح ، بنوته لله وخلاص البشر بذبيحته الوحيدة كانت تعاليم كنيسة النصارى فى تلك العصور الخالية كما هى تعاليمها فى العصر الحالى

وهكذا أيضاً قانون الايمان الذى ألفه المجمع النيقاوى الذى اجتمع سنة ٣٢٥ مسيحية لقطع أريوس وشجب هرطقته لانه أنكر لاهوت المسيح . هذا القانون الذى صادقت عليه عدة مجامع اجتمعت بعد ذلك منها مجمع القسطنطينية الذى انعقد سنة ٣٨٢ مسيحية ومجمع افسس الذى انعقد سنة ٤٣١ فهذا القانون يظهر بأجلى بيان هذه العقيدة التى سلمنا اياها آباء الكنيسة الأول ولا زال الكل يعتقد بها الى يومنا هذا

فيتضح مما دون فى مؤلفات الآباء الأوائل وتقرر فى المجامع المسكونية العامة بخصوص عقيدة التثليث والتوحيد والتجسد وعمل الفداء ان ايمان واعتقاد كنيسة النصارى بهذه الحقائق من بعد صعود المسيح هو ذات اعتقادها الآن وبالتالى تكون الكتب المقدسة التى كانت موجودة

فى ايام هؤلاء المؤلفين موافقة بالتمام لذات الكتب الموجودة بين أيدينا
الآن لأنه لو صار تغيير فى الكتب المقدسة بعد انتقال اولئك المعلمين
لكان قد صار تغيير فى تلك العقائد ايضاً

يعرضون قرآنهم للتناقض

ان قليلا من الموازنة بين القائلين بتحريف التوراة والانجيل ان
الربح الذى يعود عليهم من وراء مهاجمة التوراة والانجيل لا يذكر إلى
جانب الخسارة التى تلحقهم من وراء هــذه مهاجمتهما ورميهما بالتحريف
والتبديل، وهى خسارة لا تعوضها شهوة التعريض بالتوراة والانجيل لانهم
فى ما يرمون به التوراة والانجيل يعرضون القرآن للتناقض !

وكيف لا وهم الذين يعلمون ما ورد فى القرآن من الشهادات العظيمة
الدالة على أن التوراة والانجيل لم يتحرفا وانهما ضياء وذكرى وفيهما حكم
الله وانهما كلام الله وموضع الثقة واليقين وفيهما وفى سؤال أصحابهما
ما يزيل الشك من قلب محمد وفيهما تعليم لما لا يعلمه المسلمون على النحو
الذى أوردناه آنفاً .

تراهم بعد ان وقفوا على هذه الشهادات القرآنية الكثيرة والعظيمة
يحاولون أن يأتوا بآيات من نفس القرآن ليستدلوا بها على أن التوراة
والانجيل ليسا بالضياء ولا بالذكر ولا يستحقان من الله أن يحفظهما
وانهما قد تحرفا وتبدلا بدون مبالاة بما يقوم على القرآن من الاعتراضات
اذا ثبت ما أراد هؤلاء الطائشون ان يثبتوه اذ يريدون ان يثبتوا من
القرآن الشىء وضده أو بالحرى يكرهون القرآن أن يقول بقولهم : ان
التوراة والانجيل هما كتابا الله وليس كتابا الله . هما ضياء وذكر وليسا
ضياء وذكراً . هما محفوظان بعناية الله وهما ليسا محفوظين بل متروكين
لعبث العابثين .

وها أنت أيها القارئ، قد وقفت في ما سبق على الآيات الكثيرة التي أوردناها من القرآن شاهدة على صدق الكتاب المقدس وسلامته من التحريف والتبديل فاسمع الآن أيضاً ما يورده بعض المسلمين من آيات أخرى من القرآن ليثبتوا بها وقوع التحريف والتبديل والتغيير في التوراة والانجيل

(١) ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون (البقرة)

(٢) افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون (البقرة)

(٣) ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون (البقرة)

(٤) ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم (البقرة)

(٥) يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون (آل عمران)

(٦) وان منهم فريقاً يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (ال عمران)

(٧) يحرفون الكلم عن مواضعه (المائدة)

هذه الآيات يوردونها كدليل على تحريف التوراة والانجيل مع انها صريحة الدلالة على صحتهما وعدم تحريفهما ووجودهما سليمين

بل ان هذه الآيات دليل واضح وقوي على ان اليهود والنصارى مع علمهم بأمر محمد في كتبهم وصفته لم يقدموا على انتزاع هذه الدلايل من كتبهم او تحريفها بل ابقوها كما هي، فقط اقتصروا على تشويش هذه الدلايل وتحريف كلام الله بالتأويل والاخفاء وان هذه الآيات ايضاً تدل على ان محمداً كان يعلم بسلامة التوراة والانجيل من التحريف فلم يقل انه

هذه الكتب ليست هى التى نزلت على موسى وعيسى بل رمى اليهود فقط بالتلبيس والكتمان

وانا نحرص على عادتنا التى اتبعناها فى مباحثاتنا مع اخواننا المسلمين فلا تفسر من عندياتنا آيات القرآن ولا نستعمل عقولنا فى تفسيرها بل نعمد دائماً الى تفاسير ائمة الاسلام

وها نحن نورد اولا تفسير الجلالين لهذه الآيات قال : يحرفون الكلم عن مواضعه اى يميلونه عن مواضعه التى وضعها الله فيها . إما لفظاً باهماله او تغيير وضعه ، واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده (الجلالين جزء اول ص ٢٢٨)

والفخر الرازى يقول : ان أمتى موسى وعيسى كانوا يكتمون ما فى التوراة والانجيل من الدلايل على نبوءة محمد فكانوا يحرفونها او يذكرون لها تأويلات فاسدة (الفخر الجزء الثالث ص ١٦٨ و ١٦٩)

والبيضاوى يقول فى تفسيره :

ان فريقاً من اليهود يسمعون كلام الله يعنى التوراة ثم يحرفونه كنعت محمد ، وآية الرجم . وتأويله فيفسرون بما يشتهون « من بعد ما عقلوه » اى فهموه بعقولهم (البيضاوى جزء اول ص ٩١)

والفخر الرازى يقول ايضاً :

ولا تلبسوا الحق بالباطل أمر بترك الاغواء والاضلال واعلم ان اضلال الغير لا يحصل إلا بطريقين وهو اما ان كان سمع دلايل الحق فاضلاله لا يمكن الا بتشويش تلك الدلائل عليه وان كان ما سمعها فاضلاله انما يكون باخفاء تلك الدلائل عنه ومنعه من الوصول اليها فقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل إشارة الى القسم الاول وهو تشويش الدلائل عليه . وقوله : وتكتموا الحق اشارة الى القسم الثانى وهو منعه عن الوصول الى الدلائل واعلم ان الاظهر فى الباء التى فى قوله بالباطل انها باء الاستعانة والمعنى ولا تلبسوا الحق بسبب الشبهات التى توردونها على

السامعين وذلك لأن النصوص الواردة فى التوراة والانجيل فى أمر محمد عليكم كانت نصوصاً خفية يحتاج فى معرفتها الى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على المتأملين فيها بسبب القاء الشبهات فهذا هو المراد بقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل (الرازى مجلد اول ص ٤٦٥)

« ولا تلبسوا الحق بالباطل » اللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبهاً بغيره . والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل عليكم بالباطل الذى تخترعونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبساً بسبب خلط الباطل الذى تكتبونه فى خلاله او تذكرونه فى تأويله وتكتمون الحق وأنتم تعلمون كأنهم أمروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه اى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه وانتم تعلمون عالمون بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل يعذر (البيضاوى المجلد الأول ص ٧٦ و ٧٧)

وفى تفسير الجلالين يقول : تخلطون الحق الذى انزلت عليكم بالباطل الذى تغيرونه وتكتمون الحق نعت محمد وانتم تعلمون (جزء اول ص ٩)

ومن هذا ترى أيها المسلم المنصف كيف اتفق ائمة الاسلام فى تفسير هذه الآية على ان التلبيس والكتمان كانا بالتأويل والاخفاء

فاذا كان اهل الكتاب وهم يعلمون أمر محمد فى كتابهم اى نعته وصفته ولم يقدموا ولا اسلافهم على نزع ذلك منه او تحريفه بل فقط اقتصروا على تشويش تلك الدلائل على السامع أليس هذا دليلاً على أمانتهم لكتبهم كما انزلها الله تعالى

(٢) أفتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون (البقرة آية ٧٦) .

وهذه الآية تدل على ان كلام الله فى التوراة والانجيل كان يسمع وكان موجوداً كما هو واصحابه يعقلونه ويعلمونه

(٣) ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من

الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون (البقرة آية ١٠٢)

وهذه لا تدل على تحريف التوراة والانجيل بل تدل على انهما كانتا لا يزالان مع اليهود والنصارى على حقيقتهما فقط ان فريقاً من اليهود والنصارى نبذ التوراة والانجيل وراء ظهورهم والا اذا كانا قد تحرفا او تبدلا فكيف يجيء الرسول مصدقاً لهذه الكتب المحرفة ويطالب اليهود بان يبينوا له الدلائل الدالة عليه

(٤) ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم (البقرة آية ١٧٥)

وقال الرازى فى تفسيرها : واختلفوا فى كيفية الكتمان فالمروى عن ابن عباس انهم كانوا محرفين يحرفون التوراة والانجيل وعند المتكلمين هذا ممتنع لانهما كانا كتابين بلغا من الشهرة والتواتر الى حيث يتعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التأويل لأنه قد كان فيهم من يعرف الآيات الدالة على نبوءة محمد عليه السلام وكانوا يذكرون لها تأويلات باطلة يصرفونها عن محاملها الصحيحة الدالة على نبوءة محمد فهذا هو المراد من الكتمان فيصير المعنى ان الذين يكتمون معانى ما انزل الله من الكتاب (مجلد ثانى ص ١٣٢ و ١٣٣)

أرأيت ايها الأخ العزيز كيف ان أئمة المسلمين يقولون ان تحريف التوراة والانجيل أمر ممتنع لبلوغهما مبلغ الشهرة والتواتر بحيث يتعذر تحريفهما وان كتمان المعانى من آيات الكتاب بتأويلها تأويلا فاسداً يصرفها عن محاملها الصحيحة وان النص الأصلى بقى بدون تحريف

(٥) يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون (ال عمران ٧١) تفسيرها : الأول المراد منها الآيات الواردة فى التوراة والانجيل

تبشرة بمحمد عليه السلام . الثاني انهم كانوا كافرين بنفس التوراة لانهم كانوا يحرفونها وكانوا ينكرون وجود تلك الآيات الدالة على نبوءة محمد (صلعم) وأما قوله وأنتم تشهدون فالمعنى على هذا القول انهم عند حضور المسلمين وعند حضور عوامهم كانوا ينكرون اشتمال التوراة والأنجيل على الآيات الدالة على نبوءة محمد (صلعم) ثم اذا خلا بعضهم مع بعض شهدوا بصحتها (الرازى مجلد ثانى ص ٧٠٨)

ومن هذا تعلم أن أهل الكتاب لم ينسخوا من كتاب الله الآيات المقول انها دالة على محمد ولا انهم حرفوها بل حسب الآية كانوا يكفرون بها أى ينكرونها وهم يشاهدونها فى كتابهم وهنا لا يبقى محل لتهمة أهل الكتاب بتحريف كتابهم ولو كان من شيمتهم التحريف لكانوا بالاولى أزالوا منه تلك الآيات المزعوم انها نبوءات عن محمد بل كانوا محافظين بكل حرص وعناية على سلامة كتبهم كما انزلها الله تعالى

(٦) وان منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (ال عمران آية ٧٩)

تفسيرها : واعلم ان اللى عبارة عن عطف الشيء ورده عن الاستقامة الى الاعوجاج ... كيف يمكن ادخال التحريف فى التوراة مع شهرتها العظيمة بين الناس . الجواب لعله صدر هذا العمل عن نفر قليل يجوز عليهم التواطؤ على التحريف ثم انهم عرضوا ذلك المحرف على بعض العوام . الوجه آخر وهو أن الآيات الدالة على نبوءة محمد (صلعم) كان يحتاج فيها إلى تدقيق النظر وتأمل القلب والقوم كانوا يوردون عليها الأسئلة المشوشة والاعتراضات المظلمة فكانت تصير تلك الدلائل مشتبهة على السامعين. واليهود كانوا يقولون مراد الله من هذه الآيات ما ذكرناه لا ما ذكرتم ثم فكان هذا هو المراد بالتحريف وبلى الألسنة (الرازى مجلد ثانى ص ٧٢٠ و ٧٢١)

وهذا دليل على عدم اقدام اهل الكتاب على تحريف كتابهم .
أظهر الفخر الرازى دهشته عندما كان يسمع أن أحداً يقول بتحريف التوراة والانجيل فقد قال فى تفسير آية ٤٥ من سورة النساء
كيف يمكن (التحريف) فى الكتاب الذى بلغت آحاد حروفه وكلماته مبلغ

التواتر المشهور فى الشرق والغرب (الرازى مجلد ٣ ص ٣٣٧ و ٣٣٨)

وكرر الرازى تعجبه هذا فى الجزء الرابع ص ٢١ و ٢٢ اذ قال : لان اخفاء مثل هذه التفاصيل التامة فى كتاب وصل إلى أهل الشرق والغرب ممتنع

أرأيتم كيف أن لا القرآن ولا مفسرى القرآن قالوا أن اليهود والنصارى حرفوا أو بدلوا أو غيروا التوراة والانجيل

انما البعض من المسلمين الذين يقولون ان التوراة والانجيل محرفان وحدث فيهما تغيير وتبديل وفيهما التناقض والخطأ انما هم متتلمذون للكفرة والملحدين وعن سمومهم آخذون

حيارى !

بينما يزعم نفر من المسلمين أن اليهود والنصارى حذفوا من كتبهم البينات الدالة على رسالة محمد تراهم يرجعون إلى التوراة والانجيل فيتخذون منهما بعض الآيات ويطبقونها على محمد ويقولون انها تشير إلى رسالة محمد مثل قول المسيح الوارد فى يوحنا ١٦:٧ « لكنى أقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق لانه ان لم انطلق لا يأتيكم المعزى . ولكن ان ذهبت أرسله اليكم »

ومثل الوارد فى مز ٤٥:٣ قوله « تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار »
وأمثال هذه الآيات الواردة فى التوراة والانجيل يتخذونها دليلا على محمد وتنبوءات عنه

وهذا منتهى الغرابة لانهم بينما يقولون أن التحريف الذى أجراه

اليهود والنصارى فى كتبهم كان منصبا على حذف الدلائل الدالة على محمد تراهم فى نفس الوقت يوردون الكثير من آيات التوراة والانجيل كدلائل ونبوءات عن محمد

وهذا من أقطع الأدلة على أن المسلمين يعتقدون فى قرارة أنفسهم أن التوراة والانجيل لم يتحرفا ولا امتدت اليهما يد التغيير والتبديل . وأن اليهود والنصارى كانوا أمناء لكتبهم فلم ينتزعوا منها الآيات التى يشتم منها المسلمون رائحة الدلائل على محمد .

هل نسخ القرآن التوراة والانجيل ؟

عند ما يعجزون عن إقامة الدليل على تحريف التوراة والانجيل وعندما تفحمهم ادلتنا وبراهيننا التى نوردها على سلامة التوراة والانجيل من التحريف والتغيير والتبديل ، فعوضاً عن أن يؤوبوا إلى الرشد ويعترفوا بالحق بنصوعه ويحمدوا الله الذى ينجز مواعيده الصادقة الأمينة بحفظ الذكر وعدم تبديل سنته ، تراهم يهربون من التسليم بالحق والاعتراف بصحة التوراة والانجيل كما اعترف أئمة الاسلام واستبعدوا كل البعد تحريف الكتاب الذائع المتواتر ، ويقفزون من نافذة ليتخلصوا من الاعتراف بالحق وليس كل قفز عاقبته سليمة فطالما قفز اناس من النوافذ والشرفات ليخلصوا من ورطة فسقطوا فى ما هو أشر وأنكى مما أرادوا الخلاص منه .

واسمع ايها القارىء بماذا أراد هؤلاء المفترون على التوراة والانجيل أن يتخلصوا ؟!! ظنوا ان الخلاص يكون بهذا الادعاء المضحك الهازل الذى لم يقل به محمد فى احاديثه ولا فى القرآن ايضاً

يقولون ان القرآن قد نسخ التوراة والانجيل وأبطل حكمهما وحل محلهما

فمن اين أتوا بهذا الادعاء وإلى أى دليل يستندون ؟ وها أمامنا الكتب الثلاثة : التوراة والانجيل والقرآن هل يوجد فى هذه الكتب الثلاثة ادنى اشارة او تلميح يستفاد منه أن التوراة والانجيل قد نسخ احدهما الآخر او نسخهما القرآن وأبطل حكمهما وحل محلهما ؟ !

ان الذى يطالع الكتب الثلاثة يجد عكس هذا الادعاء

فلقد جاء فى العهد القديم فى سفر اشعياء النبي قوله : « صر الشهادة اختم الشريعة بتلاميذى » اش ٨: ١٦ وهذا النص يؤكد المحافظة على الشريعة وقوله : الى الشريعة وإلى الشهادة ان لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر (اش ٨: ٢٠) وهذا النص يفيد تهديد الذين يهملون الشريعة

وفى نبوءة اشعياء عن المسيح يقول : الرب قد سر من اجل بره يعظم الشريعة ويكرمها (اش ٤٢: ٢١)

وهذا النص يدل على أن المسيح عند ما يأتى الى هذا العالم لا ينقض الشريعة القديمة ولا ينسخها انما يعظمها ويكرمها .

وقد جاء فى العهد الجديد ما يؤيد هذا فان السيد المسيح له المجد قال : لا تظنوا انى جئت لأنقض الناموس او الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل فانى الحق اقول لكم إلى ان تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل (مت ٥: ١٧ و ١٨)

وعند ما سأله ناموسى ليجربه قائلا : ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ، قال له ما هو مكتوب فى الناموس كيف تقرأ فأجاب الناموسى وقال تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك . فقال له بالصواب اجبت . افعل هذا فتحيا (لو ١٠: ٢٥ — ٢٨)

فلو ان المسيح له المجد كان قد أتى لينسخ الشريعة القديمة بعهده الجديد لانتهز فرصة سؤال الناموسى له وأوضح قصده الذى جاء لأجله

وهو ابطال شريعة موسى ونسخها ولكن نراه يقول للناموسى : « ما هو مكتوب فى الناموس؟ ... افعل هذا فتحيا »

وبولس الرسول يقول صريحاً : لان غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن (رو ١٠:٤)

ويقول بولس ايضاً : لا تكونوا مديونين لأحد بشىء الا ان يحب بعضكم بعضاً لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس لأن لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته وان كانت وصية اخرى هى مجموعة فى هذه الكلمات أن تحب قريبك كنفسك (رو ١٣:٨ و٩)

فمن هذا نرى أن الرسول يحض على اكمال الناموس ويضمن ما جاء فى الوصايا العشرة فى كلمة المحبة وبصفته رسول الامم كان فى قدرته ان يجاهر - وهو رجل الصراحة والشجاعة - بان الانجيل قد نسخ التوراة وحلت شريعته محل شريعة التوراة ولكنه قال بان شريعة المسيح تكمل وتختم شريعة موسى

ويعقوب الرسول يقول : فان كنتم تكملون الناموس الملوكى حسب الكتاب تحب قريبك كنفسك فحسناً تفعلون ولكن ان كنتم تحابون تفعلون خطيئة موبخين من الناموس كمتعدين لان من حفظ الناموس وانما عثر فى واحدة فقد صار مجرما فى الكل لأن الذى قال لا تزن قال ايضاً لا تقتل فان لم تزن ولكن قتلت فقد صرت متعديا للناموس (يع ٢ : ٨ — ١١).

والقرآن ايضا يثبت ذلك

وهوذا أمامنا وأمامكم القرآن تصفحوه من أوله الى آخره فلا تجدوا فيه إشارة او تلميحاً يفيد أن القرآن نسخ التوراة والانجيل وأبطل حكمهما أو حل محلهما

نعم لقد ورد فى القرآن كلمة « نسخ » بمعنى الازالة والابطال فى موضعين وهما :

« ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها » (البقرة)

وقوله « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته » (سورة الحج)

وهاتان الآيتان القرآنيتان لا تدلان على ان النسخ كان فى التوراة او الانجيل بل كان فى بعض الآيات القرآنية وكان يقع لما يلقيه الشيطان وهذا ما قال به ائمة المسلمين مفسرو القرآن :

قال الامام البيضاوى فى تفسير سورة الحج عندما اراد ان يبين كيف نسخ الله بعض الكلمات فى سورة النجم وهى قوله :

« تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى » وملخص الخبر هو انه بينما كان محمد يتلقى الوحى من جبريل ألقى الشيطان على لسانه تلك الكلمات ليستهويه إلى عبادة اللات والعزى ومناة ، فقالها كأنها موحى بها من الله ثم بعد ذلك نسخها الله الخ

وروى هذه القصة يحيى وجلال الدين فى تفسيرهما على النسخ الوارد فى سورة الحج ورواها ابن هشام عن ابن اسحق فى سيرته

وقال جلال الدين السيوطى فى كتاب الاتقان : « ان النسخ مما خص الله به هذه الأمة »

وقال الحاج رحمة الله الهندى فى كتابه إظهار الحق : « إن القول بنسخ التوراة بنزول الزبور ، ونسخ الزبور بظهور الانجيل بهتان لا أثر له فى القرآن ولا فى التفاسير بل لا أثر له فى كتاب من الكتب المعتبرة لأهل الاسلام »

وقال جلال الدين السيوطى : لا يعتمد فى النسخ قول عوام المفسرين بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة لأن النسخ يتضمن رفع حكم أو إثبات حكم مقدر فى عهده والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأى والاجتهاد

إذن لاحق لأحد أن يستعمل عقله لاثبات النسخ فى التوراة والانجيل مع خلو القرآن والأحاديث وتفاسير الأئمة من ذكر شيء عن نسخ التوراة والانجيل بالقرآن .

ومن المعلوم ان الآيات الناسخة لا تنسخ إلا مثلها فى القرآن فقط كما أنه لا يقع النسخ الا اذا أثبته قول أو حديث عن محمد نفسه

القرآن لم ينسخ التوراة ولا الانجيل

أولا — لأن النسخ هو الابطال ورفع الحكم ، والحال أن التوراة والانجيل لا يزال حكمها نافذاً فى مئات الملايين فى جميع أنحاء الممالك والقارات ويدين لها ويخضع لأحكامها أعظم دول العالم ذات السيادة والرقى ، أصحاب العلوم والاختراعات ، الذين لا يقدم العالم رجلا ولا يؤخرها إلا بتوجيه أصحاب التوراة والانجيل ، وان جميع المدنيات القائمة فى العالم مستمدة من روح التوراة والانجيل .

ثانياً — لو كان القرآن قد نزل لينسخ التوراة والانجيل ويبطل حكمها ويحل محلها لما كان يحث أهل التوراة والانجيل على إقامتها واتباع حكمها ، ولا كان يتوعدهم بقوله : « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل ، بل كان يقول لهم : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا القرآن عوضاً عن التوراة والانجيل اللذين بطل حكمها وحل القرآن محلها

ولا كان يقول : « وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه » (المائدة) بل كان يقول لهم : وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فى القرآن

وإذا كان الله تعالى يريد أن ينسخ التوراة والانجيل بالقرآن ويحله محلها فلماذا يقول تعالى لمحمد فى سورة المائدة :

« وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله » بل كان يقول له وكيف لا يحكمونك بعد ان أنزلنا القرآن فيه حكم الله !

وإذا كان الله تعالى قد أرسل محمداً وأنزل عليه القرآن لكى ينسخ التوراة والانجيل ويبطل حكمهما . فهل من المعقول أن يقول تعالى لمحمد فى (سورة يونس) « فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك »

لأن هذا يتنافى مع العقل والعدالة وكل حق : إن كتاباً كالقرآن حدث بسببه حرج فى صدر محمد يحل محل كتابين قد أحال الله محمداً عليهما وعلى أهلها ليزيلا من قلبه الشك من جهته

وهل كان يستريح قلب محمد من جهة هذه الاحالة وهل كان يذهب مطمئناً الى أهل التوراة والانجيل ليزيلوا من قلبه الشك

ثالثاً — كان من الجائز والمعقول ان يقال بان القرآن نسخ التوراة والانجيل وحل محلهما فيما لو كان القرآن قد احتوى جميع ما فى التوراة والانجيل ، أو جاء بأحسن مما جاء فيهما لترقية الجنس البشرى

أما وأن القصص الواردة فى القرآن قد وردت بايجاز واختصار كلى بينما هى قد وردت فى التوراة والانجيل بتوسع كاف يجعلهما فى كل العصور المرجع الوحيد والمصدر الوافى لتوضيح ماجاء فى القرآن موجزاً كما يشهد القرآن نفسه بقوله : فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون (الأنبياء) وقوله : نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين ، وانه لفى زبر الأولين (سورة الشعراء)

وهذه الآية الاخيرة تثبت أن التوراة والانجيل يحتويان كل ما جاء فى القرآن .

فالتوراة والانجيل بالنسبة للقصص والمواعظ الواردة فى القرآن بمثابة موضوع الواسع الاطراف والقرآن بالنسبة لهما بمثابة المذكرة

المختصرة بيد الواعظ أو الخطيب على المنبر ليتذكر بها موضوعه بحيث لو وقعت هذه المذكرة فى يد الغير يحتاج فى تفهمها إلى الرجوع للاصل المفصل المطول .

ولذلك قيل « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »

كذلك العظات والتعاليم الواردة فى القرآن لا تغنى الناس عما جاء فى تعاليم ومبادىء التوراة والانجيل . والقرآن يقول صريحاً : ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها

فلو أن القرآن جاء بأحسن من تعاليم التوراة والانجيل أو حتى بمثلها لحق للقوم أن يقولوا : أن القرآن نسخ التوراة والانجيل وحل محلهما لأنه جاء بمثلها وأحسن منها :

وها نحن نعرض هنا بعضاً من الوصايا والتعاليم الواردة فى التوراة والانجيل :

بعض مما ورد فى التوراة :

(١) لا تشته بيت قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك (خر ٢٠ : ١٧)

(٢) إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شارداً ترده اليه . إذا رأيت حمار مبغضك واقعاً تحت حمله وعدلت عن حله فلا بد أن تحل معه (خر ٢٣ : ٤ و ٥)

بعض مما ورد فى الانجيل

(٣) فان قدمت قربانك على المذبح وهناك تذكرت أن لاخيك شيئاً عليك فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولا اصطلح مع أخيك (مت ٥ : ٢٣ و ٢٤)

(٤) ان من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزنى (مت ٥: ٣٢)

(٥) ليكن كلامكم نعم . نعم . لا . لا . وما زاد على ذلك فهو من الشرير (مت ٥ : ٣٧)

(٦) لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأيسر أيضاً (مت ٥ : ٣٩)

(٧) أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم (مت ٥ : ٤٤)

(٨) فتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك (مت٦:٣)

(٩) ومتى صليت فلا تكن كالمرائيين فانهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس . وأما أنت فتى صليت فادخل مخدعك وأغلق بابك وصل الى أبيك الذى فى الخفاء (مت٦:٥و٦)

(١٠) وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذ (لو ٦ : ٣١)

(١١) فرحاً مع الفرحين وبكاء مع الباكين (رو ١٢ : ١٥)

(١٢) إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس (رو ١٢:١٨)

(١٣) لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل اعطوا مكاناً للغضب (رو ١٢ : ١٩)

(١٤) فان جاع عدوك فاطعمه وإن عطش فاسقه لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه . لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير (رو١٢:٢٠)

هذه عينة من بعض ما ورد فى التوراة والانجيل من المواعظ والتعاليم والمبادىء السامية أوردناها هنا على سبيل المثال ليقولوا لنا أين مثلها أو أحسن منها فى القرآن حتى يمكن القول أن القرآن أغنانا عنها وبالتالى نسخها وحل محلها

برافو على ! لقد وجدته !

قالوا أراد أحدهم ان يثبت اسمــه فى مخ بعضهم حتى إذا ما طلبه مرة أخرى كان اسمه حاضراً فى ذهنه فقص عليه قصــة حياته بحيث ذكر اسمــه ابرهيم مائة مرة وعند ما انتهى من القصة وإذا بالسامع يظهر استحسانه للقصة فيقول برافو على ! فحزن ابرهيم لأن تعبه ذهب سدى.

ونحن كذلك فبعد أن أشهدنا الله وملائكته ورسله وأنبياءه والقرآن والأحاديث وأئمة المسلمين ، والعقل والمنطق على أن التوراة والانجيل لم يعترهما تبديل ولا تحريف ولا وقع فيهما النسخ مما أراح القراء من مسلمين ومسيحيين .

وإذا بكاتب مجلة التقوى الاسلامية يطلع علينا فى العدد ١١٨ لشهر نوفمبر سنة ١٩٣٣ وهو يقول : وشك ضهرك يا جدع سارد على القمص سرجيوس !

ماذا قال ؟ !

قال : «استشهد المعلم سرجيوس على حفظ التوراة والانجيل بقوله تعالى فى القرآن « إنا نحن أنزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . فالذكر هنا هو القرآن الكريم لا التوراة والانجيل »

هذا ماردت به مجلة التقوى علينا أما نحن فنحزن لأن الكاتب يشهد على نفسه انه لم يطلع على ما كتبناه ورد علينا عمياني وإلا فكيف يقول ان الذكر هنا هو القرآن فقط مع اننا أوردنا عدة آيات قرآنية تشهد بان التوراة والانجيل هما أول ما دعيا بالذكر ونحن نقف حيارى بازاء كاتب كهذا . أنعيد له الآيات القرآنية مرة أخرى فنقع فى التكرار الممل أم نحجم فيطلع فيها وينهمنا بالعجز ولكن رأينا ان نحذو حذو المخترع لحقنة

٦٠٦ الذى أعاد تجاربه ٦٠٦ مرات فنجح وخفف عن الناس آلام تشويشهم
وهذا ما سنتبعه مع كاتب مجلة التقوى لنزيل عن مخه الأفكار المشوشة
وأما قراء الكتاب فنحيلهم على صحيفة ١٢ من هذا الكتاب ليروا
كيف ان القرآن يعترف بأن التوراة والانجيل هما الذكر قبل أن يدعى
القرآن بالذكر

وهنا نتجه لكاتب مجلة التقوى فنقول له : هلا تؤمن بهذه الآيات
القرآنية أم تؤمن ببعض القرآن وتنكر البعض الآخر ؟
فان كنت تؤمن به كله فيجب ان تعترف بانك مراوغ عند ماقلت أنه
الذكر هو القرآن . وأنت تعلم ان التوراة والانجيل هما الذكر والضياء
والفرقان ايضاً

وهذا شأن المراوغ

لم يقف كاتب مجلة التقوى عند حد انكار كون التوراة والانجيل هما
الذكر بل راح يفسر القرآن بما يخرجه عن معناه
فقال أما معنى كون القرآن مهيمناً على التوراة والانجيل فهو ان
القرآن شاهد على ما فيهما من التبديل والتحريف لا ان يمنع تحريفهما كما
يظن المعلم سرجيوس ، فان الشاهد على شيء لا يمنع وقوع الشيء
هذا تفسير كاتب مجلة التقوى !
أما نحن فنسأل كاتب مجلة التقوى من أين أتيت بهذا التفسير
أمن نفسك أم من اقوال أئمة دينك
فان قلت من نفسك فاسمع ما يصفعك به جلال الدين السيوطى إذ يقول :
«ولا يعتمد فى النسخ قول عوام المفسرين بل ولا اجتهاد المجتهدين من
غير نقل صحيح ... والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأى والاجتهاد»

وإن قلت انك أخذت عن أقوال أئمة المسلمين مفسري القرآن كذب الواقع ادعاءك وكنت مفتريا لأن أئمة المسلمين فسروا كلمة « مهيمناً » على عكس تفسيرك وهذا ما يقوله الامام النسفي : « لأن القرآن مصدق لجميع كتب الله ... ومعنى تصديقه الكتب موافقتها في التوحيد والعبادة « ومهيمناً عليه » وشاهداً لأنه يشهد له بالصحة والثبات »

والامام البيضاوي يقول : « ومهيمناً عليه » يقال هيمن الرجل يهيمن إذا كان رقيباً على الشيء وشاهداً عليه حافظا (البيضاوى جزء ٣ ص ٤١٢)

والكشاف للامام أبي القاسم يقول : « مهيمناً عليه » ورقيبا على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصحة والثبات (جزء أول ص ٤١٨)

فمن يصدق الناس هل تفسير الادعياء أم أئمة المسلمين المعتمدين

ولو أخذ المسلمون بتفسيرك لاستهدف القرآن للتناقض والانتقاد

فيقول الناس كيف يكون القرآن قد نزل ليكون شاهداً على ما في التوراة والانجيل من تحريف وتبديل وفي نفس الوقت يقول :

« نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه (راجع الآيات القرآنية الواردة في صحيفة ١٨ — ٢١ من هذا الكتاب)

فهل تريد يا حصيف أن تقول أن محمداً جاء بالقرآن ليشهد على ما في التوراة والانجيل من تحريف وتبديل ولأمر ما انقلب مصدقا لها شاهداً بصحتهما وثباتهما ارضاء لليهود والنصارى وتزلفا لهم

وأنت تعلم ان الذي يصدق على الخطأ المحرف يكون نظيره خاطئا

واذا أخذنا بتفسيرك يا كاتب يا ابق ألا يكون الله تعالى ومحمد والقرآن مغررين بالناس وخادعين لهم لأنه تعالى يلزمهم ان يقيموا التوراة والانجيل المحرفين .

حقاً ينطبق عليك يا كاتب التقوى ما انطبق على الرجل الذى وقف يقرأ فى الانجيل قوله «ويل لك يا كورزين» فلفظها «ويل لك يا كوز الزير» فلما سئل لماذا تعطى الويل للكوز ؟ قال : لأنهم شربوا به الخمر فى عرس قانا الجليل . فقالوا له : « تبقى مابس وتقسر » !

يتردى من هوة الى هوة

راح كاتب مجلة التقوى يسترسل فى تعريض القرآن للنقد واظهاره بمظهر المناقض لنفسه فقال :

« هذا وقد أثبت صاحب كتاب إظهار الحق المرجوم رحمة الله الهندى انه بسبب ما حصل لبنى اسرائيل من تسلط الأمم الفاتحة كالبابليين والرومان فقدت التوراة وامحت الشريعة الموسوية عدة مرات . وإنما كانت تجدد كتابتها كلما هدأت حال بنى اسرائيل ولم تكن من نسخ مخطوطة مضبوطة بل من الروايات اللسانية التى طبعاً تبعد عن الاصل بعداً كبيراً . لأنه لم يعهد فى بنى اسرائيل حفظ التوراة عن ظهر قلب كما يحفظ القرآن بل كانوا يروونها بالمعنى هذا فضلا عن أن بنى اسرائيل ارتدوا عدة مرات وعبدوا الطاغوت »

الرد البسيط

وإذا كان أمر التوراة كما ذكرت فأى توراة كانت فى زمن محمد والى أية توراة أشار القرآن بقوله : يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل (المائدة)

ومنعاً لتكرار الآيات القرآنية نحيل القارىء على صحيفة ١٨ و١٩ و٢٠ من هذا الكتاب

فهل كان القرآن يصادق ويأمر الناس أن يقيموا التوراة التي ...
التي أخذت عن الروايات الانسانية بعد ما فقد الأصل وانمحى

لا ننكر أن التوراة وأهل التوراة تعرضوا لاضطهادات وأخطار كثيرة ، ولكن هل كانت الاضطهادات يوماً ما مضيعة للدين ؟ أم العكس كانت على الدوام سبباً لنموه وتثبيته !

فان كان الشعب الاسرائيلي قد تلاشى وانمحى بالاضطهادات يكون كتابهم المقدس قد تلاشى معهم أيضاً ، أما وانهم بقوا الى هذا اليوم رغم الاضطهادات التي حلت عليهم ، فيكون كتابهم من باب أولى محفوظاً بل ان الأمم تفنى وتبقى كتبها وآثارها من بعدها

يتخذ كاتب مجلة التقوى من الظروف الرديئة والاضطهادات التي مرت في اليهود وكتابهم دليلا على ضياع التوراة

وهو يعلم ان القرآن قد تعرض لظروف كهذه مثل موت الكثيرين من الحفاظ وقراء القرآن في حرب اليمامة حتى خشى عمر ان تحدث حرب أخرى يموت فيها كل من بقى منهم فيذهب الكثير من القرآن فذهب الى أبى بكر واستأذن فى جمع القرآن وألح عليه حتى أذن له فأمر زيداً بن ثابت ان يجمعه (البخارى جزء ٣ ص ١٤٩)

فهل ترى يهودياً أو مسيحياً يتخذ من هذه الظروف المماثلة فيقول عن القرآن ما قلتم عن التوراة ؟ أم اننا على العكس منك نقول أن الكتب التي يعتقد أصحابها انها منزلة من عند الله يحتفظ بها أصحابها فى سويداء القلب بل يموتون فى سبيل المحافظة عليها كما ماتوا فى سبيل المحافظة على دينهم ولا فرق عند المؤمنين بين دينهم وكتاب دينهم فبقاء اليهودي والمسيحي كيهودي أو كمسيحي دليل على بقاء كتابه

وهل حفظ الكتب عن ظهر القلب ضمانة لها

يظن الكاتب غير الموفق ان حفظ الكتب عن ظهر القلب فيه ضمان

حفظها وعدم ضياعهـا حتى انه ينعى على بنى اسرائيل عدم وجود مزية

الحفظ عن ظهر القلب عندهم

ولا ندرى كيف يقول هـذا وهو يعلم علم اليقين خطر الاعتماد على الحفاظ فى حفظ الكتاب من الضياع ، إذ لو كان حفظ الحفاظ فيه الضمان الكافى لصيانة الكتب وحفظها لما طلب عمر الى أبى بكر جمع القرآن فى مصاحف وفضلا عن موت الحفاظ فان الحفاظ أنفسهم معرضون للنسيان وهاك ما جاء فى صحيح البخارى (الجزء الثالث ص ١٥٤) حديث عن عائشة قالت : سمع رسول الله (صلعم) رجلا يقرأ فى سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد أذكرنى آية كذا وكذا كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا. فاذا كان صاحب الرسالة نسى من رسالته آية وآيات فكم وكم يكون الحفاظ ولذلك كان جبريل يلتقى محمداً فى كل ليلة من رمضان يدارسه القرآن (البخارى جزء ٢ ص ١٤١ و١٧٨ و١٨٦)

ألم تكن غير نسخة واحدة

يظن حضرته ان بنى اسرائيل لم تكن لديهم غير نسخة واحدة من التوراة حتى اذا ماضاعت وأرادوا تجديدها عمدوا الى الروايات اللسانية فليسمع ما جاء فى سفر التثنية (٣١ : ٢٥ و٢٦) قوله فعندما أكمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب الى تمامها أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلا : خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم

وليست هذه النسخة فقط بل كان لدى كل كاهن وكل لاوى وكل ملك وكل قاض نسخة من التوراة للعمل بها كل فى اختصاص وظيفته لمعرفة الفرائض والطقوس والترتيبات الدقيقة وشرائع البلاد وواجبات الملوك والأفراد لا سيما وأن بنى اسرائيل لم يعهد فيهم حفظ التوراة عن ظهر القلب كما يحفظ القرآن فقد جاء فى (سفر التثنية ص ١٧ : ١٨ و١٩)

قوله عن الملك : « وعند ما يجلس على كرسى مملكته يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة فى كتاب من عند الكهنة اللاويين فتكون معه يقرأ فيها كل أيام حياته لكى يتعلم ان يتقى الله إلهه ويحفظ جميع كلمات هذه الشريعة وهذه الفرائض ليعمل بها »

وقد شهد يوسيفوس المؤرخ اليهودى بانه أعطى لكل سبط نسخة بأمر موسى .

كيف نفقد و تمحى ؟

أما قوله بأن التوراة فقدت وانمحت بسبب تسلط البابليين على اليهود فهذا قول مردود ايضاً بما ورد فى التوراة بعد رجوع بنى اسرائيل من السبى البابلى وتدشينهم الهيكل الثانى

قالوا لعزرا الكاتب ان يأتى بسفر شريعة موسى التى أمر بها الرب اسرائيل فأتى عزرا الكاتب أمام الجماعة ... وقرأ فيها امام الساحة التى امام باب الماء من الصباح الى نصف النهار (نحميا ص ٨)

فهل رأيت كيف انهم عقب العودة من السبى وجدوا معهم فى الحال نسخة من التوراة قرأوا فيها وذلك لأن نسخ التوراة كانت تحمل معهم أينما ساروا ورحلوا يحملونها مع زادهم وفراشهم ويحافظون عليها كمحافظتهم على حياتهم بل ويعرضون حياتهم ليحتفظوا بكتابهم فيبقى معهم ما بقيت حياتهم فى كل الظروف العصيبة دون ان يفرطوا فيها

ومما يدلك على ان التوراة كانت محفوظة فى البلاد التى سباهم اليها ملك أشور الذى نقل من بابل شعباً أسكنه فى السامرة بدلا عن شعب اسرائيل ولما كانوا لا يعرفون قضاء إله الارض ولم يتقوه ارسل عليهم السباع فأكلتهم . ولما أخبروا ملك اشور بذلك أمر بان يرسلوا واحداً من كهنة اسرائيل الذين فى بابل ليذهب الى السامرة ويعلم النازحين هناك قضاء إله اسرائيل ففعلوا وارسلوا كاهناً اسرائيلياً علمهم شريعة موسى (٢ مل ١٧ : ٢٤ ـ ٢٩)

فاذا كانت التوراة قد حملت مع بنى اسرائيل الى بابل ارض السبى مع الكهنة وكان ملك اشور يعلم بوجودها بين شعب اسرائيل حتى انه أمر بارسال احد الكهنة ليعلم الساكنين فى السامرة شريعة الله المدونة فيها فكيف تقول انت انها امحت فى اضطهاد البابليين الأمر الذى يدل على عناية الله بالتوراة التى هى كلامه تعالى والذكر الذى وعد بحفظه ولا تزاله التوراة السامرية الى هذا اليوم كما استلموها من الكهنة الذين اوفدهم قديما ملك اشور من ارض السبى الى السامرة ؟

يهرب من البرهان الى البهتان

يقول كاتب مجلة التقوى :—

« يحقق بعض المؤرخين ان التوراة الحالية يمكن ان تكون كتبت فى زمن داود ، وان ما فيها ليس من كلام موسى قطعاً حيث ذكر فيها : انه لم يقم فى بنى اسرائيل مثل موسى . فكيف يكتب موسى [عليه السلام عن نفسه ذلك »

وهل هذا كلام مسلم ؟..

أثبتنا له بأقطع البراهين ان التوراة الحالية كتبها موسى إذ لا يمكن ان تكون منسوبة لموسى زوراً وينزل القرآن مصدقاً عليها

فيأتى بعنته مسلماً ويقول :

« يحقق بعض المؤرخين ان التوراة الحالية يمكن ان تكون كتبت فى زمن داود وان ما فيها ليس من كلام موسى » فيعنى بهذا انه لا يصدق القرآن بقدر ما يصدق شهادة بعض المؤرخين !

ويا ليته افلح باستشهاده ببعض المؤرخين بل اظهر خيبة وفشلا فى ما نقل لانه بينما يقول يحقق بعض المؤرخين ترى اقوال المحققين موضوعة بصيغة

عدم التحقق لأن المؤرخ الذى نقل عنه يقول : ان التوراة الحالية يمكن ان تكون كتبت فى زمن داود

وهذه ليست صيغة الجزم والتأكيد كما لو قلت انا عن كاتب مجلة التقوى ربما كان مؤمناً بالقرآن من يستشهد باقوال المؤرخين التى تتنافى مع القرآن وتعرضه للتناقض ففى هذه الحالة لا أكون جازماً ولا مؤكداً ايمان كاتب مجلة التقوى ولا كفره إذ ربما يكون كافراً

تعجب كاتب مجلة التقوى وراح يستنتج ان ما فى التوراة ليس من كلام موسى قطعاً لأنه قد ذكر فيها : «انه لم يقم فى بنى اسرائيل مثل موسى» وراح يعقب قائلا : فكيف يكتب موسى عليه السلام عن نفسه ذلك !

آه يا أستاذ لو كنت بحاثة حقاً ومدققاً وطالعت قوله : وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته فبكى بنو اسرائيل موسى فى عربات مواب ثلثين يوماً ولم يقم بعد نبى فى اسرائيل مثل موسى (سفر التثنية ص ٣٤: ٧ - ١٠) لعلمت ان موسى لم يكتب نعى نفسه ولا وصف المناحة التى أقيمت عليه بعد موته مدة ثلاثين يوماً بل كما جاء فى كتاب مرشد الطالبين ص ٦٣ : « ان هذا الاصحاح مضاف الى السفر ختاماً للتاريخ وقيل ان يشوع خليفة موسى وصاحب سفر يشوع هو الذى أضافه

أما كون التوراة كتبت فى زمن داود فهذا قول باطل

(١) لأن قائله لم يقله بلغة الجزم بل قال « يمكن ان تكون قد كتبت فى زمن داود » وما دام يقول يمكن ان تكون قد كتبت فى زمن داود فمعناه ايضاً ويمكن ان تكون كتبت فى غير زمن داود

(٢) من شهادة التوراة نفسها اذ قيل فى سفر التثنية ص ٣١: ٢٥ و ٢٦ « فعندما أكمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب الى تمامها أمر

موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلا خذوا كتاب التوراة هـذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم »

(٣) تنافيه مع عدل الله وعقل الانسان فهل يقتضى عدل الله ان ينزل شريعته على موسى ويكلف الامة الاسرائيلية بوجوب حفظ ماجاء فيهامن أحكام وفرائض وطقوس كثيرة ومتنوعة ودقيقة دون ان تكون هـذه الشريعة مكتوبة امام عيونهم حتى يأتى داود بعد خمسمائة سـنة فيكتبها لاسيما وان كاتب مجلة التقوى سبق فأمسك بكلامه بانه لم يعهـد فى بنى اسرائيل حفظ التوراة عن ظهر قلب كما يحفظ القرآن

ثم بعد ذلك يعاقب الله بنى اسرائيل اذا ماخالفوا شريعة لاوجود لها بينهم لافى كتب ولا فى قلوب حفاظ

وهذا لا يسلم به العقل البشرى الذى يؤمن بعدالة الله

هل حقا تخالف التوراة ماأثبته العلم ؟!

يقول كاتب مجلة التقوى : وقد بين علماء النقد التاريخى من الاوروبيين ان كلام التوراة فى الخليقة مخالف لما أثبته العلم

أما نحن فلا يسعنا الا ان نقول لكاتب مجلة التقوى : أو أنت الذى تقول بهذا القول يامن لك قرآن تقول انه منزل من عنـد الله الذى يعلم مالا تعلمون ، الذى تقولون عنه انه فوق متناول العقول البشرية

فهل أثبت العلم ماجاء فى القرآن فى سورة البقرة قوله : «اقتربت الساعة وانشق القمر» وقد فسرها الامام البيضاوى فى الجزء الرابع ص١٠٥ فقال: « روى ان الكفار سألوا رسول الله (صلعم) آية فانشق القمر»

وهل أثبت العلم ماورد فى سورة الكهف عن اسكندر ذى القرنين قوله : « حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوماً »

وهل يتفق مع التاريخ والعلم وخاصة نظرية التطور ماجاء فى (سورة البقرة) قوله : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين »

فهل ترفض كل هذا الذى جاء فى القرآن حتى يثبته العلم ؟!

وما قولك يا حصيف اذا كان ماجاء فى التوراة عن خليقة الستة أيام قد ورد فى ذات القرآن كما جاء فى (سورة الاعراف ويونس) قوله: « ان ربكم الله خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل والنهار » وقوله : خلق الانسان من صلصال (الرحمن)

فهل تقول متجاسراً ان ما جاء فى القرآن عن الخليقة مخالف لما أثبته العلم ؟!.

هذيان المحموم !

لم تنفع مع كاتب مجلة التقوى تلك « الكمادات المثلجة » التى وضعناها بل استمر فى هذيانه يقول :

(١) ان علماء النقد التاريخى من الاوربيين يثبتون ان الانجيل لم ينقل بالضبط التام عن المسيح

(٢) ثم أن مرقس ولوقا ليسا من تلاميذ المسيح ولم يرياه فلا يعتمد على كلامهما . ويوحنا كتب انجيله بعد خمسين سنة فلا يتصور انه كان مستحضراً جميع ما قاله المسيح وما فعله على حقيقته بعد كل تلك المدة

(٣) وان كتبة العهدين يعترفون بتحريف كتبهم (راجع اشعياء ٦٦:٢٩ وار ٨:٨ و٢٣ و٢٦ ورسالة بطرس الثانية ١٦:٣)

علاجه بتكرار الدواء

نحذو حذو الطبيب حين يعود المريض ويرى أثر المرض لا يزال باقياً فيأمره بتكرار الدواء

ونحن نرى أنفسنا مضطرين لأن نكرر البرهان الذى سبق فذكرناه آنفاً فنقول لكاتب مجلة التقوى :

إذا كان الانجيل لم ينقل بالضبط التام عن المسيح ، واذا كان كلام مرقس ولوقا لا يعتمد عليه ، واذا كان يوحنا لم يستطع استحضار جميع ما قاله المسيح وما فعله على حقيقته ، واذا كان كتبة العهدين يعترفون بتحريف كتبهم كما تقول

اذن فما هو الكتاب الذى نزل القرآن مصدقاً له ، راجع (صحيفة ١٩ و٢٠و٢١ من هذا الكتاب)

وهل كان محمد حاضراً عند خلق العالم فى ستة أيام وعند ما خلق الله الانسان من صلصال ، وهل كانت المدة بين خلق العالم وبين كتابة القرآن عن الخليقة أقرب من المدة بين رؤية يوحنا للمسيح وأعماله وبين كتابته لانجيله

أم تقولون ان الوحى هو الذى يستحضر الحوادث والحقائق الى ذهن النبي والكاتب الملهم ويعصمها من الغلط والنسيان ؟ !

أما ان كتبة العهدين يعترفون بتحريف كتبهم كما تقول يا كاتب مجلة التقوى أو كما يقول من نقلت عنهم فهذا ما لا يقول به عاقل ! إذ كيف يعترف كتبة العهدين بأن ما يكتبونه محرف ! فان كانوا قد كتبوا كذبا فماذا يقصدون بهذا الكذب ؟ فان قصدوا تضليل الناس فالمضلل لا يقول لمن يريد أن يضلهم «انا كاذب مضلل » لئلا يتنبه الناس لأضاليله فلا يتم ما يريده من التضليل

وان كانوا قد كتبوا ما يعتقدون انه صدق فكيف يعترفون انه باطل
ومحرف. اللهم الا إذا كانوا مجانين وهذا لم يقل به اكبر أعداء الكتاب المقدس
ولا أدرى من أين جئت بهذا الادعاء وكيف افتريت على كتاب العهدين
بل وافتريت على العقول البشرية التى لا تقبل هذا القول
نعم رأيناك تشير إلى مواضع فى كتبنا تقول ان كتاب العهدين سجلوا
فيها اعترافاتهم بتحريف ما كتبوا وكان الواجب عليك ألا تشير الى
المواضع دون أن تذكر النصوص التى أشرت اليها وانا أجزم بانك أخذتها
عن غيرك دون أن ترجع الى النص
وما هو النص : « كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا :
حقاً انه الى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب » ار ٨:١٨
وص٢٣ يقول: وقد رأيت فى أنبياء السامرة حماقة تنبأوا بالبعل واضلوا
شعبي اسرائيل . وفى أنبياء اورشليم رأيت ما يقشعر منه يفسقون
ويسلكون بالكذب ويشددون أيادى فاعلى الشر حتى لا يرجعوا الواحد
عن شره . . . هكذا قال رب الجنود لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين
يتنبأون لكم . فانهم يجعلونكم باطلا . يتكلمون برؤيا قلبهم لا عن فم
الرب . قائلين قولا لمحتقرى قال الرب يكون لكم سلام . ويقولون لكل
من يسير فى عناد قلبه لا يأتى عليكم شر . لانه من وقف فى مجلس الرب
ورأى وسمع كلمته ... لم أرسل الأنبياء بل هم جروا . لم اتكلم معهم بل هم
تنبأوا . ولو وقفوا فى مجلسى لأخبروا شعبى بكلامى وردوهم عن طريقهم
الردىء ... قد سمعت ما قالته الأنبياء الذين تنبأوا باسمى بالكذب قائلين
حلمت . حتى متى يوجد فى قلب الأنبياء المتنبئين بالكذب . بل هم أنبياء
خداع قلبهم . الذين يفكرون أن ينسوا شعبى اسمى باحلامهم اذ قد حرفتم
كلام الاله الحى رب الجنود الهنا . هكذا تقول للنبى . بماذا أجابك الرب
وماذا تكلم به الرب . وإذا كنتم تقولون وحى الرب : فلذلك هكذا قال
الرب من أجل قولكم هذه الكلمة وحى الرب وقد أرسلت اليكم قائلا

لاتقولوا وحي الرب لذلك ها انا أنسا كم نسياناً وأرفضكم من أمام وجهي»

وص ٢٦ مكتوب : « وتقول لهم هكذا قال الرب ان لم تسمعوا لي لتسلكوا في شريعتي التي جعلتها أمامكم . لتسمعوا لكلام عبيدي الأنبياء الذين أرسلتهم أنا اليكم مبكراً ومرسلا إيام فلم تسمعوا ... وسمع الكهنة والأنبياء وكل الشعب ارميا يتكلم بهذا الكلام في بيت الرب »

وكان لما فرغ ارميا من التكلم بكل ما أوصاه الرب أن يكلم كل الشعب « أن الكهنة والأنبياء وكل الشعب أمسكوه قائلين موتاً تموت . لماذا تنبأت بإسم الرب قائلا مثل شيلوه يكون هذا البيت»

وص ٢٩ يقول : هذا كلام الرسالة التي أرسلها إرميا النبي من اورشليم إلى بقية شيوخ السبي وإلى الكهنة والأنبياء وكل الشعب الذين سباهم نبوخذ نصر من اورشليم إلى بابل ...: هكذا قال الرب . . . ابنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها . . . لأنه هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل لا تغشكم أنبياؤكم الذين في وسطكم وعرافوكم ولا تسمعوا لأحلامكم التي تحلمونها . لانهم انما يتنبأون لكم باسمي بالكذب . أنا لم أرسلهم يقول الرب .. اني عند تمام سبعين سنة لبابل أتعهدكم وأقيم لكم كلامي الصالح بردكم إلى هذا الموضع . . . ثم صار كلام الرب الى إرميا قائلا : ارسل الى كل السبي قائلا هكذا قال الرب لشمعيا النحلامي من أجل أن شمعيا قد تنبأ لكم وأنا لم أرسله وجعلكم تتكلمون على الكذب . لذلك هكذا قال الرب هانذا اعاقب شمعيا النحلامي ونسله»

وما ورد في رسالة بطرس الثانية ص ٣: ١٦ فهذا هو :

« كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس ايضاً بحسب الحكمة المعطاة له . كما في الرسائل كلها ايضاً متكلما فيها عن هذه الأمور التي فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب ايضاً لهلاك أنفسهم »

أين ما نزعم ؟!

ها قد نقلنا ما أشرت اليه فى اربعة اصحاحات من إرميا وفى اصحاح من رسالة بطرس الرسول وأما اصحاح اشعياء الذى أشرت اليه فلا شيء فيه فاين ما ادعيته فى هذه المواضع من اعتراف كتاب المهتدين بفساد كتبهم وتحريفها ؟

اقرأها مثنى وثلاثى ورباعى ان وجدت فيها شيئاً سوى تنديد النبى ارميا باولئك الانبياء الكذبة الذين كثروا فى أيامه وتنبأوا للبعل وخدعوا الشعب الاسرائيلى وراحوا يدعون انهم انبياء من قبل الله ويقولون قال الرب والرب لم يرسلهم راحوا يكتبون الرسائل من البلاد التى سبوا اليها ويحرفون أقوال الله التى نطقها بلسان ارمياء النبى حين اعلن المسبيين ان مدة سبيهم ستطول سبعين سنة والانبياء الكذبة يقولون قال الرب ان بنى اسرائيل سيعودون قريباً

ترى فى هذه الاصحاحات تحذيرات قوية للشعب حتى لا يسمع لصوت الانبياء الكذبة .

كما ترى فى رسالة بطرس الرسول تصريحاً بان رسائل بولس الرسول المكتوبة بالحكمة المعطاة له من الله فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين . يعنى لا يحرفها المؤمنون بل غير العلماء وغير الثابتين فى الايمان وسوء فهم الناس للكتب لا يؤثر فى جوهر الكتب

فاذا أساء أحد الناس فهم آية من آيات القرآن هل سوء فهمه يؤثر فى القرآن ويجعل الناس يتقولون على القرآن بمثل ما تتقول حضرتك على التوراة والانجيل

اسمع ما قاله صاحب الجلالين : يحرفون الكلم عن مواضعه اى يميلونه عن مواضعه التى وضعها الله فيها اما لفظاً باهماله أو تغيير وضعه ، واما

معنى بحمله على غير المراد وتجرئته فى غير مورده (الخلاصة الجزء الأول ص ٢٢٨ (انظر صحيفة ٣٤ من هذا الكتاب)

فمن هذا تفهم أن التحريف هو التأويل الفاسد والتفسير الخاطىء لمعانى النص الكتابى .

لانه يستحيل على مفسرى القرآن ائمة الاسلام أن يجاروك فى هذا السخف ويعترفوا أن التوراة والانجيل تحرفا بمعنى تغيرت نصوصهما وتبدلت ، ووجه الاستحالة هو أن القرآن جاء مصدقا للتوراة والانجيل فكيف يصادق على كتابين محرفين لعبت بهما أيدى التغيير والتبديل

تحريف فرق النصارى فى الترجمة

قال كاتب مجلة التقوى : يتهم البروتستانت الكاثوليك والارثوذكس بتحريف الترجمة ، وكذا الكاثوليك والارثوذكس يتهمان البروتستانت بالكفر واليهود يكفرون الكل

برهن ضد نفسه

واذا كان أهل الكتاب يا حصيف يرمون بعضهم بعضا بالكفر بسبب فروقات بسيطة لحوها فى الترجمة فكيف يرضى المسيحيون لطائفة منهم أن تحرف أصل الكتاب بل وكيف يرضون لليهود ان يحرفوا أصل التوراة أو كيف يرضى اليهود للنصارى أن يحرفوا التوراة ؟

ان عداوة اليهود للنصارى وعداوة النصارى لليهود وانقسام المسيحيين إلى شيع ومذاهب مختلفة يقف بعضها لبعض بالمرصاد ويتهم بعضها بعضا بالزيغ والمروق عن الحقائق لمجرد اختلافات بسيطة فى تفسير النصوص لهو اكبر برهان على استحالة تحريف نصوص الكتاب الأصلية كما أسلفنا القول

نماذج التحريف فى الترجمة

يقول كاتب مجلة التقوى : وهاكم نموذجا من هذا التحريف :—
ترجمة البروتستانت فى تك ٢٥:١٨ « وسكنوا من حويلة الى اشور التى أمام مصر حينما تجيء نحو اشور أمام جميع اخوته نزل» . هذا غلط صحته ما يأتى :— ونزلت بطون بنى اسرائيل مع نشأتها واستوطنت البلاد من الحولة الى طريق القوافل بين مصر والعراق (الدكتور اسرائيل لفنستون فى كتابة تاريخ اليهود فى بلاد العرب)

رد وايضاح

لا يخجل كاتب مجلة التقوى بصفته مسلما وله كتاب يقول انه الهى وفوق أفكار البشر وعقولهم من أن يجعل كتاب رجل غير ثقة كالدكتور لفنستون حكما على الكتاب المقدس وبرهانا على فساد ترجمته ونصوصه الاصلية

فهل يرضى المسلم أن يجعل التاريخ والجغرافية والمراصد حكما على ما جاء فى القرآن (راجع صحيفة ٥٦ من هذا الكتاب)

ولئلا يظن هذا الكاتب اننا نقصد اسكاته وتعجيزه حتى يتساهل معنا ويتجاوز لنا عن خطأ فى ترجمة توراتنا وانجيلنا ، نقول له : ان كلام الدكتور اسرائيل لفنستون الذى أردت أن تكذب به ترجمة البروتستانت هو هراء وتحريف وتخبط

نقول ان ما جاء فى ص ٢٥:١٨ من سفر التكوين صحته هكذا : (ونزلت بطون بنى اسرائيل مع نشأتها واستوطنت البلاد من الحولة إلى طريق القوافل بين مصر والعراق) . مع ان الكلام فى هذا الاصحاح هو عن اسمعيل واليك ما جاء فى عدد ١٧ : «وهذه سنو حياة اسمعيل مئة سبعة وثلاثون سنة وأسلم روحه ومات وانضم الى قومه .. وسكنوا من حويلة

الى شور التى أمام مصر حينما تجيء نحو أشور امام جميع اخوته نزل ...
وهذه مواليد اسحق بن ابرهيم . ولد ابرهيم اسحق » فترى يا حضرة
البحاثة والنقاد ان اسرائيل وبنى اسرائيل لم يكونوا قد ولدوا بعد -
ولكن هذا شأن من يخطف «رأس الكبه ويطير»
واذا علمت ان الكلام هنا عن اسمعيل وبنيه فتكون الترجمة
البروتستانتية صحيحة لأن اسمعيل معروف انه لم يكن بين مصر والعراق
وان اقل اطلاع على خريطتى اسيا وافريقيا كاف لتكذيب دكتورك
عند ما ترى فى الخريطة أن العراق شرقى سوريا وسوريا واقعة شمال شرقى
فلسطين وفلسطين واقعة شمال شرق مصر فمن أين يكون اسمعيل سكن
بين مصر والعراق وكتبك وتواريخك تبين أن اسمعيل سكن البرية وهى
من الجنوب وأمام مصر

يتهم نفسه ولا يدرى

أورد الكاتب نموذجا آخر من الكتاب المقدس على التحريف فقال :
« ولحى هزل عن سمن» مز ١٠٩: ٢٤ غلط وصحته « نفسى تغيرت من
أكل الزيت »

الصواب

لو أن المسلمين يعتقدون ان التوراة والانجيل نزلا بالالفاظ والحروف
كالقرآن لكان لهم ان يعتبروا مثل هذا الاختلاف فى الترجمات «فقشة»
للمسيحيين واليهود اما وانهم يعتقدون أن التوراة والانجيل نزلتا على
الكتاب معانى والمعانى تعبير بطرق مختلفة ومنوعة تؤدى المعنى المراد
فسيان اذا ترجمت هذه الآية بعبارة : ولحى هزل عن سمن او نفسى تغيرت
من أكل الزيت طالما كان مراد الزبورى ان يبين كيف انه ابتعد عن

سمنات لأن كلة « عن » تفيد البعد كقولك « اليك عنى » أى ابتعد عنى.
كان دانيال فى تذلله مبتعداً عن اللحوم والأطعمة الشهية (دا ١٠ : ٢ و٣)
انه كان يأكل بقولا مطبوخة بالزيت
ولكى يخفف أخونا المسلم عن نفسه فاننا نورد له هنا ماقاله جلال الدين
سيوطى عن القرآن : ظهر لى نوع سادس يشبه من أنواع الحديث وهو
زيد فى القراءات على وجه التفسير كقراءة سعد بن أبى وقاص : « وله
أو اخت من أم » والأصل هو : « وله أخ او اخت » (سورة النساء
١٥) بدون لفظة من أم . ومن ذلك ايضاً قراءة ابن عباس : « ليس
كم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج » أخرجها البخارى.
الاصل هو : بدون كلة فى مواسم الحج فهى زائدة كما فى (سورة البقرة
: ١٢٤)
ومن ذلك قراءة ابن الزبير : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويستعينون على ما أصابهم مع انها
(سورة آل عمران) ولتكن أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . قال ابن الجزرى . وربما كانوا
يدخلون التفسير فى القراءات فى القرآن ايضاحاً وبياناً . وأما اختلاف
القراءات فى القرآن فكثير ، فجاء فى الكشاف للزمخشرى جزء أول ص ٥٤
له « مالك يوم الدين » (الفاتحة ٣٥) قرىء ملك يوم الدين . وقرأ
و حنيفة ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم . وقرأ أبو هريرة
لك بالنصب . ومنهم من قرأ مالك بالرفع (كشاف جزء اول ٢٠٩)
فاذا جاز هذا الدرج وهذا الاختلاف فى قراءات كتاب تقولون انه
ل بحروفه وألفاظه فكيف لا تجيزون الدرج فى ترجمة الكتاب المقدس
ى نزل معان بل تشنون الغارة وأنتم تحثون على القرآن من الترجمة الى
غات الاخرى وتحرمونها تحريماً خوفاً عليه من ان لا تحتفظ الترجمات
بلغته وسجعه وألفاظه مع انه كان يجب عليكم ان تقفوا من كتابنا موقفه

العجب وتنظروا اليه نظرة الاجلال والاكبار لأن معانيه خاضت لجج اللغات واللهجات التي تفوق السبعمائة عداً واحتفظت بجوهرها وسموها . كان يجب عليكم ان تهللوا أمامه وتكبروا له كصخر الدهور الذي جالد اللغات واللهجات وبقيت معانيه السامية سيدة متجلية ساطعة في كل اللغات والترجمات

أسفار مفقودة !!

يقول كاتب مجلة التقوى الاسلامية : — « أسفار مفقودة » أين هذه الاسفار ، سفر ياشر (يش١٠ : ١٣) وأناشيد وامثال سليمان (١مل٤ : ٣٢) وسفر أمور سليمان (١مل١١ : ٤١) وأخبار الايام الاول (ص٢٩ : ٢٩) وأخبار ناثان النبي واخيا الشيلوني (٢ اى ٩ : ٢٩) وسفر شمعيا النبي وعدو الرائي (٢ اى ١٢ : ١٥) وسفر مدرس النبي (١٣:٤ الخ) » اهـ

لا يخفى ان لبني اسرائيل كتباً غير كتبهم الموحى بها قد وضعت كتذكار لحوادث وكقانون للملوك والتصرفات الخاصة بالحروب والملاحم ككيفية الكر والفر ورياضات عسكرية واستعمال القوس ومن يتصفح سفر صموئيل الثاني ص ١ : ١٨ يجد هذا واضحاً تمام الوضوح إذ جاء : « وقال ان يتعلم بنو يهوذا نشيد القوس . هوذا ذلك مكتوب في سفر ياشر » أشار اليها في السفر الموحى به ولكنه لم يدونها فيه بل اكتفى بان يشير الى انها في سفر ياشر وياشر باللغة العبرية معناه المستقيم وذلك لصدق روايته في الحديث كقولهم صحيح البخاري وابن مسلم ويوجد الى هذا اليوم كتاب باللغة العبرية يسمى ياشر ويشتمل على قصائد وطنية بذكر الابطال الاتقياء الذين اشتهروا بالاقدام ولما كانت كتابة مثل هذه الامور لم تنزل بوحي لاعلى نبي ولا رسول بل دونها احد المؤرخين الذي كان يدون حوادث عصره . فلم تدرج في الكتب الموحى بها

والاستشهاد بغير الوحي أمر جائز لالزام الخصم الحجة وقد سلك الرسل والانبياء هذا المسلك فلقد استشهد بولس في سفر الاعمال من ١٧: ٢٨ بشطر من اقوال (اراتس) وطبقها على اقواله ولئلا يهولنك الأمر فانى ذاكر لك من القرآن ما يدلك على انه استشهد بكتب أناس لم ينتسبوا الى وحي ولا نبوءة فلقد استشهد بصحف لم يرد لها ذكر في كتب الوحي الالهي كصحف ابرهيم واسمعيل مع انه ليس لابرهيم ولا اسمعيل صحف مطلقاً عند اليهود ولا عند غيرهم

الاسفار المحذوفة

يقول كاتب مجلة التقوى : « وقد حذفت البروتستانت أسفاراً عدة وعدتها غير قانونية بينما أثبتها الكاثوليك والارثوذكس وعدوها وهي طوبيا ، ويهوديت وسفر الحكمة وحكمة يشوع بن شيراخ ونبوءة باروخ وسفري المكابيين وباقي سفر استير ودانيال » . اه .

الرد البسيط

ان الامر واضح أيها الكاتب بان لا حذف ولا خسف انما المسألة هي ان بطليموس الثاني كان مغرماً بالكتب وكانت له مكتبة الاسكندرية العظيمة فقيل له ان مكتبتك ينقصها كتب اليهود فارسل في طلبها مع سبعين شيخاً من علماء اليهود المتضلعين في اللغتين العبرانية واليونانية فحملوا اليه جميع كتبهم الموحى بها وغير الموحى كطلبه وترجموها في الاسكندرية الى اليونانية

وهذا سبب وجود هذه الأسفار التي ذكرتها ياحضرة الكاتب في الترجمة السبعينية التي أخذ عنها الارثوذكس والكاثوليك لأنها مترجمة باللغة السائدة ذلك الوقت . وأما البروتستانت فانهم أخذوا عن التوراة العبرانية

التى لم تضم هذه الأسفار الى كتب الأنبياء لأنهم لا يعتقدون ان كتابها كتبوا بالهام إلهى كبقية الأنبياء . نعم كتبوها وهم متشبعون بروح الكتاب المقدس الموحى به ودونوا التاريخ الوارد فيها بكل دقة ومع ذلك لم يعتقدوا بوحيها

ووجود هذه الأسفار على هذه الحالة يدلك على شدة تدقيق المسيحيين واليهود فى أمر الكتب المقدسة فهم ليسوا بالذين يضيفون كل مايجدونه أو يسمعونه الى كتبهم لأن كتبهم الموحى بها غنية . فالاختلاف فى قبولها من عدمه دليل الحرص والاحتياط ومع ذلك فهى موجودة ولم تفقد وبقاؤها كان لسبب تشبع كتابها من روح الكتاب الموحى به ولاحترام اليهود والنصارى لهذه الكتب

تنبيه أهل الكتاب الى مافى الكتاب

نشرت مجلة الاسلام تحت هذا العنوان مقالا للاستاذ محي الدين البغدادى استهله قائلا : « واذ انتهيت فى العدد السابق من ذكر الفضائل التى خص الله بها القرآن الكريم والتى تشهد بانه المعلم الوحيد الذى أنهض هذا النوع الانسانى من كبوته وأيقظه من غفلته وارشده الى الأخذ باسباب الرقى فى سائر مقومات الحياة وما يدخره من سائر الاعمال لنوال السعادة فى الحياة الاخرى . فلا أرى بداً من بيان فضيلة اخرى من كبريات الفضائل التى امتاز بها هذا الكتاب السموى العظيم . . . وهى كونه لا يوجد فيه شىء من الأقوال المصادمة للمعقول ، ولا من الامور المنافية للايمان الصحيح بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله مما هو موجود فى غيره من الكتب المعتبرة انها سموية »

لو قصرت فضل القرآن على العرب لكنت معقولا أما وانك تقول بفضل القرآن على النوع الانسانى من يهود ونصارى ووثنيين فهذا القول لا يقبله العقل ولا يقره الواقع ، إذ كيف يؤثر القرآن فى شعوب لم تؤمن به ولا تمسكت بعبادئه فينهضهم ويرشدهم الى الأخذ بأسباب الرقى فى سائر مقومات الحياة بينما المسلمون الذين آمنوا بهذا القرآن وعملوا به يبقون الى هذا اليوم على ما كانوا عليه بعيدين عن اسباب الرقى عاجزين عن مسابقة الأمم التى لاتدين بالقرآن بل تدين بالتوراة والانجيل

أم تقول على قاعدة « عنزة ولو طارت » ان اليهود والنصارى يؤمنون بالقرآن وأما المسلمون فلا يؤمنون بالقرآن لذلك بقوا على حالهم الاول بلا تقدم .

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تدافع عن القرآن وتفاخر به على اليهود والمسيحيين ما دمت لا تؤمن به وما داموا هم يؤمنون به ؟ ولماذا لاتترك النصارى واليهود ليفاخروا هم بالقرآن الذى تقمهم ولم ينفعك أم تريد ان ينطبق عليك القول : « طلقته واوصته على الفراخ »

ولو ان البغدادي اقتصر على مدح القرآن دون ان يتعرض لكتبنا بل اعتبر مافيها مصادماً للعقول ومنافياً للايمان لما اهتممنا بالرد عليه

لو كنت تدرى يا بغدادى !

انك ببغاء تردد اقوال منكرى الوحى الذين لا يسلمون الا بما يخضع لحكم العقل لما كتبت كلمتك الخائبة التى تعترف فيها بخضوع الكتب المنزلة لحكم العقل

وهنا نسألك هذا السؤال ما رأيك فى ماجاء فى سورة الكهف قوله :

« يسألونك عن ذى القرنين قل . . . حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوماً »

وأنت تعلم ان العلم والعقل يقولان ان الشمس أكبر من الارض بمليون و ٤٠٠ ألف مرة فكيف تغرب هـذه الشمس فى عين حمئة من عيون هذه الارض وكيف يتصور العقل ان قوماً يسكنون عند هذه العين الحمئة التى تغرب فيها الشمس

وما رأيك فيما ورد فى سورة القمر قوله : «اقتربت الساعة وانشق القمر» فهل العلم والمراصد يقولان بهذا القول ؟ !

يضرب البغدادى مثلا على خيبته

يقول : «فنى أسفار العهد القديم مثلا مذكور هكذا :

(١) نسبة الله تعالى الى الندم والحزن والتأسف فى القلب تك ٦: ٥

(٢) وانه تعالى ندم على ان جعل شاول ملكا على بنى اسرائيل ١صم١٥ : ٣٥ »

أما نحن فنقول جازمين ان البغدادى لم يقرأ القرآن مرة والا لما سقط فى الكمين الذى أعده الملاحدة لمثله وما هم يعطرونه من هذا القبيل أسئلة مما جاء فى (سورة يس) قوله : يا حسرة على العباد (وآل عمران) قوله : ومكروا ومكر الله بهم (والرعد) قوله : فلله المكر جميعاً (والمائدة) ان سخط الله عليهم (واسرائيل) واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميراً (والتوبة) نسوا الله فنسيهم

والاستاذ يعلم ان الحسرة أشد من الحزن واقتل للمتحسر والذى يتحسر هنا فى الآية القرآنية هو الله والماكر هو الله والساخط هو الله والمحرض على الفسق هو الله والناسى هو الله

فهل نجاريك فنقول على القرآن مثل ماتقول على التوراة والانجيل أم نتف فى أدبنا فنقول هى اصطلاحات لتفهيم البشر ارادة الله ومقاصده تعالى

(٣) يقول البغدادى ومذكور ايضاً فى العهد القديم : بانه تعالى نزل لينظر المدينة والبرج (تك ١١ : ٥)

وى يابغدادى حتى البخارى وكتب الأحاديث لم تطالعها ولا تعى ما جاء فيها !

اسمع ما جاء فى البخارى جزء ٤ ص ٦٨ ان رسول الله (صلعم) قال : ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حيث يبقى ثلث الليل الأخير يقول من يدعونى فاستجيب له الخ

فهل تضحك بعد على كتابنا لأنه ذكر ان ربنا نزل مرة واحدة وأنتم تنزلونه تعالى كل ليلة

(٤) يقول البغدادى ومذكور ايضاً انه تعالى نزل ذات ليلة وتصارع مع يعقوب فلم يقدر عليه (تك ٣٢: ٢٤)

ماذا يدهشك من هذا يابغدادى ؟

أيدهشك ظهور ملاك فى شكل انسان يصارع يعقوب ؟! وهوذا الملائكة والشياطين قد ذكر عنهم فى الأحاديث انهم يظهرون فى صورة البشر

وهو ذا حديث عن أبى هريرة عن النبى (صلعم) قال ان عفريتاً من الجن تفلت على البارحة أو كلمة نحوها ليقطع على الصلاة فأمكننى الله منه واردت ان أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا اليه كلكم (البخارى جزء ٣ ص ١٢٠ و ١٢١)

وفى حديث عن عائشة قالت : من زعم ان محمداً رأى ربه فقد اعظم : لكن قد رأى جبريل فى صورته وخلقه ساداً الأفق (البخارى جزء ٢ ص ١٤٢)

وحديث عن مسروق : قلت لعائشة فأين قوله ثم دنى فتدلى فكان قاب

قوسين او أدنى ؟ قالت ذاك جبريل كان يأتيه فى صورة الرجل وانه أتاه هذه المرة فى صورته التى هى صورته فسد الأفق (البخارى جزء ٢ ص ١٤٣) فهو ذا شيطان وملاك ظهرا لمحمد فى صور الناس ، فلماذا يهولك ظهور ملاك ليعقوب فى صورة انسان يصارعه

أم تهولنك مصارعة يعقوب البشرى مع الملاك أو كلمة الله المتجسد ؟

اسمع ماجاء فى حديث عن ابن حزم وأنس بن مالك قال النبي (صلعم) ففرض الله على أمتى خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال مافرض الله لك على امتك . قلت فرض خمسين صلاة . قال فارجع الى ربك فان امتك لا تطيق ذلك فراجعت فوضع شطرها فقال راجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك . فراجعته فوضع شطرها . فرجعت اليه فقال ارجع الى ربك فان امتك لا تطيق ذلك فراجعته فقال هى خمس وهى خمسون لايبدل القول لدى فرجعت الى موسى فقال راجع ربك فقلت استحييت من ربى (البخارى جزء ١ ص ٥١)

أرأيت يا حصيف كيف حرض موسى محمداً على مراجعة ربه مرات حتى غير تعالى ما اراده من خمسين الى خمسة

فما عساك ان تقول بعد هذا عن مصارعة الله ليعقوب الذى كان خائفاً من أخيه عيسو الذى كان ينوى قتله فظهر له انسان إلهى وصارعه وتظاهر أمامه بالانغلاب ليريه كيف انه قوى بازاء اخيه عيسو (والمصارعة هنا تساوى المراجعة)

وطالما شعر رجال الله القديسون حال ضيقاتهم كأن الله يحاجهم كقول داود : ارفع عنى ضربك من مهاجة يدك أنا قد فنيت (مز٣٩: ١٠) ولكن عند ما يصلون اليه تعالى يجعل مع التجربة المنفذ ليستطيعوا ان يحتملوا (١ كو ١٠: ١٣)

ألا يغلب الله منا كل يوم حينما نصلى امامه تعالى مستغفرين فيرحمنا بدل القصاص ؟

أما قال محمد فى حديث ان الله قال :

إن رحمتى غلبت غضبى (البخارى جزء ٢ ص ١٣٨)

(٥) يقول البغدادى متهكما على ماورد فى سفر الخروج ص ١٢ : ٣٥ ان موسى عليه السلام اوصى قومه ليلة خروجهم من مصر ان يسرقوا من المصريين حلياً وامتعة ثمينة ففعلوا

أما نحن فنقول : لم يرد فى النص ان الله أمرهم ان يسرقوا بل ان يطلبوا من المصريين فأعاروهم وهناك فرق بين السرقة والاعارة وان كانوا قد سلبوا ما استعاروه وخرجوا به

وان الله الذى أمر بذلك هو القاضى العادل المقسط الذى يأخذ من الظالم حق المظلوم والقاضى الأرضى يفعل مثل هذا كل يوم كما تقرأ كل يوم فى الصحف عن البيوع الجبرية التى تسلب ممتلكات المدينين أمام عيونهم لسداد ما عليهم من حقوق دائنيهم ولا يمكن لاحد ان يعترض

فبنو اسرائيل قضوا السنين الطوال فى عمليات السخرة يبنون البيوت والمخازن للمصريين بلا أجر ولا مكافأة سوى السياط التى كانت تلهب ظهورهم . وأما المصريون فانصرفوا الى أعمالهم الخاصة التى تجلب لهم الثروة على حساب بنى اسرائيل المسخرين عوضا عنهم .

فكان حكم الله عادلا ان يتقاضى بنو اسرائيل جزءاً من اتعابهم وان يتقاضى الله الغرامة من المصريين لتصرف فى صنع خيمة الاجتماع التى صنعها بنو اسرائيل فى البرية لعبادة الله . فاذا كنت تعيب على التوراة ما ذكرته بهذا الخصوص فاذا تقول عما جاء فى القرآن من تشريع وتنظيم الأسلاب وكيفية تقسيمها ؟ ! اسمع ما جاء فى سورة الحشر قوله : وما أفاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول وذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل »

وفى سورة محمد يقول : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء »

وفى سورة الانفال يقول : « قل الانفال لله وللرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله والرسول »

ويقول البيضاوى فى تفسير هذه الآية : « يسألونك عن الانفال» أى الغنائم يعنى حكمها . وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمى به ما يشترطه الامام لمقتحم خطر عطية له زيادة على سهمه « قل الانفال لله ورسوله » أى أمرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين فى غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم والانصار وقيل شرط رسول الله (صلعم) لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم ولما كان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءاً لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله (صلعم) بينهم على السواء (البيضاوى جزء ٣ ص ٤٠)

وفى أمر خيبر يقول وحاصر رسول الله (صلعم) أهل خيبر فى حصنيهم الوطيح والسلالم حتى اذا أيقنوا بالهلكة سألوه ان يسيرهم وان يحقن دماءهم ففعل

وكان رسول الله (صلعم) قد حاز الاموال كلها . . . فلما سمع بهم اهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا الى رسول الله (صلعم) يسألونه ان يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلوا له الاموال ففعل ...

فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله (صلعم) ان يعاملهم فى الاموال على النصف ... فصالحهم رسول الله (صلعم) على النصف . . . فكانت خيبر فيأ بين المسلمين (ابن هشام الجزء الثالث ١٧٨)

فهل تعيب يا بغدادى مثل هذا السلب على القرآن والاحاديث كما عبت على التوراة ما ذكرته عن سلب بنى اسرائيل للمصريين

(٦) يقول البغدادي : كيف ان هارون اخا موسى عليهما السلام صنع عجلا وعبده مع بني اسرائيل (خر ٣٢ : ١)

ماذا دهاك يا بغدادي ؟!

أتعيب على التوراة ذكر ما ورد في القرآن ؟ اسمع يا نبيه ما جاء فيه عن العجل : وإذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم عفونا عنكم . . . وإذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل . . . واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم » (البقرة والنساء) وفي سورة الاعراف يقول : واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار . . . ولما رجع موسى الى قومه غضبان آسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه . قال ابن أم ان القوم استضعفوني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني من القوم الظالمين . قال رب اغفر لي ولأخي وادخلنا رحمتك وأنت أرحم الراحمين»

فترى من هذه الآيات القرآنية ان هرون استضعفه الشعب وكادوا يقتلونه فخاف وصنع لهم العجل وهـذا ما حدا بموسى ان يمسك برأسه ويجره اليه .

(٧) يقول البغدادي : ان ابرهيم عليه الســلام قدم امرأته سارة لفرعون لينال منه خيراً بسببها (تك ١٢: ١٤)

وأما نحن فنقول للبغدادي لو راجعت النص لما افتريت على الله والناس لان ابرهيم لم يقدم امرأته لفرعون بل خاف ان يقتلوه فطلب اليها ان تقول انها اخته

وهل تهزأ بحديث البخاري الذي ذكر هذه القصة عن أبي هريرة: قال رسول الله (صلعم) لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز وجل قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا . وقال بينا

هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له ان ههنا رجلا معه امرأة من احسن الناس فأرسل اليه فسأله عنها فقال من هذه قال اختى فأتى سارة قال ياسارة ليس على وجه الارض مؤمن غيرى وغيرك وان هذا سألنى عنك فاخبرته انك اختى فلا تكذبينى الخ (البخارى جز ٢ ص ١٥٥)

(٨) يتهكم البغدادى على التوراة فيقول :

ان لوطاً عليه السلام شرب خمراً حتى سكر ثم قام على ابنتيه فزنى بهما واحدة بعد الاخرى (تك ١٩: ٣٠)

لم للبغدادى الافتراء

لو راجع النص لوجد مكتوباً هكذا :

وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس فى الارض رجل ليدخل علينا كعادة كل الارض . هلمى نسق أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلا فسقتا اباهما خمراً فى تلك الليلة ودخلت واضطجعت مع ابيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . وحدث فى الغد ان البكر قالت للصغيرة انى قد اضطجعت البارحة مع أبى فنسقيه خمراً الليلة ايضاً فادخلى معه فنحيي من أبينا نسلا فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة ايضاً وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما (تك ١٩ : ٣٠ — ٣٦)

فأين رواية التوراة من افتراء البغدادى فلا لوط سكر عمداً ولا عمد الى الزنا فى ابنتيه أما البنتان فعلتا هذا لما رأتا طوفان النار نزل من السماء ودمر مدن الدائرة فظنتا ان حادثة الطوفان الذى أهلك العالم فى زمان نوح قد تكررت وافنت العالم كما يتضح من قولها

فأحستا بانهما البقية الباقية من بذرة الجنس البشرى فتحول جميع النشاط الموزع على جميع الغرائز وتركز فى غريزة حب البقاء كما تتجمع قوة الدفاع الوطنى فى نقطة الخطر لانقاذ الموقف . والغريزة كما عرفها

علماء النفس هى اندفاع طبيعى أعمى لاتيـان فعل من الأفعال بلا غرض ولا سبب .

فاندفعت ابنتا لوط لاتيان هذا الفعل مع أبيهما لاحياء نسل منه حتى لا ينقطع الجنس البشرى عن الارض بدافع غريزة حب البقـاء لا بدافع الغريزة الجنسية .

بدليل انهما لم تكررا الفعل مع أبيهما مع توفر طريقته عندهما بل انهما عندما اشبعتا غريزة حب البقاء وحملت كل واحدة منهما بولد لم تفكرا قط فى اشباع الغريزة الجنسية مع ابيهما (مرة أخرى)

وهذا منتهى البطولة والعفاف إذ منعتا نفسيهما من تكرار الفعل

فماذا يعيب لوط شخصياً فى هذا الموقف والكتاب شهد له بانه لم يعلم بما حدث إذ كان فى حالة سكر شديدة

وقد قال الامام أبو حنيفة إن حد السكر ان يصير الانسان لا يعرف السماء من الارض ولا الطول من العرض ولا المرأة من الرجل

أم يعيب على لوط انه استسلم لشرب الخمر حتى سكر ؟ نقول للبغدادى ان الخمر لم تكن محرمة فى العهد القديم بل كانت معتبرة من البركات الالهية كما جاء فى القرآن فى سورة النحل قوله : « ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً ورزقا حسناً ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون »

وقال الامام الفخر الرازى فى تفسيرها : فان قيل الخمر محرمة فكيف ذكرها الله فى معرض الانعام . أجابوا عنه من وجوه الأول ان هذه السورة مكية وتحريم الخمر نزل فى سورة المائدة فكان نزول هذه الآية فى الوقت الذى كان فيه الخمر غير محرمة . القول الثانى : ان السكر هو النبيذ وهو عصير من العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبى حنيفة رحمه الله (الرازى جزء ٥ ص ٣٢٩)

وروى عبد الرحمن عن ابن عباس : ان النبى طاف وهو شاك على بعير ومعه محجن حتى اذا انقضى طوافه نزل فصلى ركعتين ثم أتى السقاية فقال

اسقونى من هذا فقال له العباس ألا نسقيك مما يصنع فى البيوت قال لا .
ولكن اسقونى مما يشرب الناس فأتى بقدح من نبيذ فذاقه فقطب وقال
هلموا فصبوا فيه الماء ثم قال زد فيه مرة أو مرتين أو ثلاثا ثم قال اذا صنع
أحد منكم هذا فاصنعوا به هكذا ورواه يحيي بن اليمانى عن ابن مسعود
الانصارى .

(٩) يعيب البغدادى على التوراة ذكرها لصنيع يعقوب فقال وان
يعقوب عليه السلام سرق مواشى من حميه وخرج باهله دون ان يعلمه
(تك ٣١ : ١٧) .

ماذا اعتراك يا بغدادى حتى ترى عيباً فى ما ليس بعيب وهذا هو النص
الذى حرفته : فقام يعقوب وحمل أولاده ونساءه على الجمال وساق كل
مواشيه وجميع مقتناه الذى كان قد اقتنى مواشى اقتنائه التى اقتنى فى
فدان آرام . . . ولما عاتبه خاله لابان قال له : انى خفت لأنى قلت لعلك
تغتصب ابنتيك منى (تك ٣١:٣١) وقال يعقوب ايضا لخاله : انك جسست
جميع اثاثى ماذا وجدت من جميع أثاث بيتك . . . الآن عشرين سنة أنا
معك ، نعاجك وعنازك لم تسقط ، وكباش غنمك لم آكل فريسة لم احضر
اليك ، أنا كنت اخسرها ، من يدى كنت تطلبها مسروقة النهار أو
مسروقة الليل . وقد قبل خاله لابان هذا العتاب

أفتفترى يا بغدادى على يعقوب بكلام من عندك لم تقل به التوراة ثم
تنقلب فتعيب على التوراة ماهى بريئة منه

(١٠) يعيب البغدادى على التوراة قائلا : وان رأوبين زنى بزوجة
أبيه يعقوب وان يعقوب علم بهذا الفعل الشنيع وسكت (تك ٣٥:٢٢)

ماذا على التوراة يا بغدادى !

ان تذكر سوأة رأوبين وقد ذكر القرآن لرأوبين واخوته سوءات
كثيرة عند ماشتموا أبام يعقوب وقالوا « ان أبانا لفى ضلال مبين »

وتآمرهم على قتل أخيهم يوسف وبيعهم إياه كبيع العبيد وعند ما كذبوا على أبيهم وقالوا ان وحشاً افترسه

أم ان البغدادى لا يرى فى شتم الاب والكذب عليه وقتل الاخ أو بيعه إثماً وخطية مثل اضطجاع رأوبين مع سرية أبيه ؟ ! وربما كان لرأوبين فى اضطجاعه مع سرية ابيه عذر لانه رأى ابناء عمه العرب يبيحون نكاح زوجة الأب شرعاً إذ كان عرب الجاهلية اذا مات الرجل يخلفه على زوجته أكبر اولاده من غيرها وكانوا يسمون المتزوج بامرأة ابيه (الضيزن) والضيزن الذى يزاحم أباه فى امرأته

وقال الامام السهيلى نكاح زوجة الاب كان مباحاً فى الجاهلية بشرع متقدم ولم يكن من المحرمات التى انتهكوها ولا من المظالم التى ابتدعوها لانه أمر كان فى نسب

أما اتهام البغدادى ليعقوب بالرضى عن فعل ابنه فهذا من تخيلات البغدادى وتصوراته الخاصة لان يعقوب وهو يتنبأ عن مستقبل كل من أولاده وجه الكلام لرأوبين وقال : أنت بكرى قوتى وأول قدرتى ، فضل الرفعة وفضل العزة فائراً كالماء لا تتفضل لانك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دنسته (تك ص ٤٩)

فهل هذا كلام الراضى عن فعل ابنه أم هى لعنات تنصب على رأس هذه الرذيلة ؟ !

(١١) البغدادى يعيب بالجملة والقطاعى . فقال : وان يهوذا بن يعقوب زنى بزوجة ابنه فحبلت وولدت توأمين سمى احدهما فارص والثانى زارح (تك ٣٨ : ١٠)

وان داود عليه السلام زنى بزوجة رجل من قواد جيشه ثم دبر حيلة لقتل الرجل وضمها الى نسائه فولدت له سليمان (٢ صم ١١ : ١٠)

وان أحد اولاد داود واسمه امنون افتض بكارة اخته وعلم داود بذلك وسكت (٢ صم ١٣ : ١٤)

وان سليمان عليه السلام ارتد فى آخر عمره وعبد الاصنام وبنى لها المعابد (١مل ١١ : ٥)

لو علم البغدادى

لو علم ان غاية الناموس هى المسيح (رو ١٠ : ٤) وان المحور الذى يدور عليه الناموس الالهى المتضمن فى التوراة وكتب الانبياء هو خلاص الناس من الخطية بدم المسيح البار ، لما استغرب الشيخ البغدادى من ذكر الكتاب المقدس لخطايا الأنبياء والملوك والكهنة وآباء الاسباط وقصد الكتاب بهذا ان يثبت « ان الجميع زاغوا وفسدوا واعوزهم مجد الله » ومجد الله هو المسيح الذى رتلت الملائكة ليلة ميلاده قائلة « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام »

وليس كتابنا فقط الذى اهتم بذكر خطايا الانبياء والبطاركة ورؤساء الآباء ، بل والقرآن ايضاً والأحاديث أثبتت هذه الحقيقة الدالة على ان الجميع اخطأوا لأنهم ولدوا من آدم الذى عصى ربه فغوى كما جاء فى سورة (طه) كما سجل على نوح خطيته (سورة نوح) وسجل على ابرهيم خطيته (سورة الانعام وابرهيم والانبياء)

وسجل على موسى خطيته ايضاً كما فى (سورة القصص والشعراء والأعراف)

وسجل على داود خطيته فى (سورة ص) وسجل على سليمان خطاياه (سورة ص) وكذلك سجل ليونس خطيته (الصافات)

وسجل لمحمد خطيته كما فى سورة الفتح قوله « ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما . وفى سورة محمد قوله « واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات »

لذلك احتاج العالم كله الى مخلص يكفر عن الخطايا وتكون الكفارة

، عيب فيها ولا دنس لفداء الأنفس وإظهار عدل الله ورحمته وهذا الفادى القدوس هو السيد المسيح

فماذا تقول بعد ذلك يابغدادي؟

البغدادى يضرب باليمين والشمال

بعد ان مل البغدادى الطعن فى التوراة تحول إلى الانجيل يطعن فيه فقال : ورد فى انجيل متى ١ : ٣ ان داود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم من نسل ولد الزنا المسمى فارص (مت ١ : ٣) .

نرد بالتى هى أحسن

نعم ان كتابنا مسجل أمين فلقد ذكر فى سلسلة أجداد المسيح أناساً لم يكونوا منزهين عن الخطأ كثامار وراعوث وراحاب وامرأة اوريا وهؤلاء جميعهن صرن جدات للمسيح

وكون السيد المسيح أخذ جسداً من أناس غير نزيهين وتجسد فيه فهذا لا يطعن فى قداسته بل هذا سر مجده فى نظر العالم أجمع لانه مع كونه أخذ طبيعة البشر الساقطين المولودين بالآثام نراه الوحيد فى البشر الذى ولد قدوساً وبلا خطية ولم يرث مع بنى آدم ماورثوه من خطية وإثم

وذلك لأن الروح القدس حل على أمه مريم وطهرها وقدس طبيعتها قبل ان يحل فيها كقول الملاك لها : الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله (لو ١ : ٣٥) وكما يقول القرآن عنها فى (سورة آل عمران) : « وإذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين »

ومع ذلك فان المسيح له المجد لم يولد ممن كانوا ثمرة الزنا بل ولد من أجداد كانوا ثمرة الزواج الشرعى

(١) ثامار التى يقول عنها لبغدادى انها ولدت فارص من الزنا قد ولدته وانجاه بالطريق الشرعى ذلك ان الذى كانت فيه زوجة الميت لها ان تحصل على نسل من اقرب ولى لزوجها وقد كان اقرب ولى لزوج ثامار هو حموها أب زوجها ولم تكن فى عذا الفعل زانية بدليل ان حماها الذى أمر ان تحرق عندما بلغه خبر حبلها لما تحقق ان الحبل كان منه قال هى أبر منى لانى لم اعطها لشيلة ابنى فلم يعد يعرفها ايضاً (تك ٣٨ : ٢٦)

ومع ذلك فلم تكن فى تلك الأيام شريعة إلهية موضوعة بل كان العرف هو المتبع

وأرجوك يا بغدادى ان تخفف عن نفسك ولا تندد بكتابنا لانه ذكر دخول يهوذا على امرأة ابنه الميت فهو ذا القرآن والأحاديث ذكرت أمراً مماثلا لهذا وهو ان محمداً تزوج زينب زوجة ابنه زيد كما جاء فى سورة الاحزاب قوله : « واذ تقول للذى أنعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها »

والفخر الرازى يقول فى تفسير هذه الآية (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه) من انك تريد الزواج بزينب (وتخشى الناس) من ان يقولوا أخذ زوجة الغير والابن

وفى حديث البخارى جزء ٣ ص ١١٦ قال حدثنا معلى ابن أسد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان زيد بن حارثة مولى رسول الله (صلعم) ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله . وهذه الآية نزلت بعد ان تزوج محمد بزينب زوجة ابنه زيد

فقل يابغدادى فى صراحة ماذا تريد بانتقادك هذا على يهوذا وأنت تعلم مماثله فى القرآن ؟ هل تريد ان تنتقد القرآن ومحمداً فخفت فوجهت انتقادك الى ما يماثله فى التوراة أم تقول انك ما كنت تعلم بوجود مماثل فى القرآن ؟

اسمع يا بغدادى ماجاء فى حديث صحيح البخارى الجزء ٣ ص ١٦٤ عما

كان عليه زواج العرب فى الجاهلية قالت عائشــة : ان النكاح فى الجاهلية على اربعة انحاء

فنكاح منها : نكاح الناس اليوم يخطب الرجل الى الرجل وليتــه أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها

ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته اذا طهرت من طمسها ارسلى الى فلان فاستبضعى منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها ابداً حتى يتبين حملهـا من الرجل الذى تستبضع منه فاذا تبين حملها أصابها زوجها اذا أحب وانما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع

ونكاح آخر يجتمع الرهط مادون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد ان تضع حملها أرسلت اليهم فلم يستطع رجل منهم ان يمتنع حتى يجمعوا عنـدها تقول لهم قد عرفتم الذى كان من أمركم وقد ولدت فهوذا ابنك يافلان تسمى من احبت باسمه فيلحق به ولدها ولا يستطيع ان يمتنع به الرجل

ونكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع عمن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً فمن ارادهن دخل عليهن فاذا حملت احداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون

ولقد كانت ولادة عمرو بن العاص من هــذا النوع إذ قيل عن أمه انه وطئها أربعة وهم العاص وأبو لهب وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب . وادعى كلهم عمراً فألحقته بالعاص وقيل لها لماذا اخترت العاص قالت لأنه كان ينفق على بناتى

فهل تعيب على عظماء رجال محمد كونهم ولدوا من أمهات كانت هذه طرق حبلهن وطرق نسبة أولادهن لآبائهم

وإذا كنت لا تستطيع ان تقول شيئاً من الاعتراضات أو توجه الطعن

الى هؤلاء فهـل كان طعنك على من ذكرتهم التوراة ناشئاً عن جهل بما ذكرته لك من الاحاديث عن ولادات العرب قبـل ظهور محمد ومناداته بشريعته وإلا ماذا ؟

البغدادى يتلمس الاخطاء

قال البغدادى متهكما على قول المسيح لامه « مالى ولك يا امرأة لم تأت ساعتى بعد » وراح يقول ان يسوع أهان امه وسط جمع من الناس (يو ٢ : ٤)

وان كانت هذه العبارة « مالى ولك » يشتم منها رائحة التوبيخ الاان السيدة العذراء مريم لم تقترف ذنباً بطلبها الاعجوبة من ابنها لسد حاجة أهل العرس الذى رضى يسوع ان يحضره هو وأمه ، حتى كانت تستحق من ابنها ان يوبخها بقوله « مالى ولك » بل ليست هـذه عادة المسيح مع الذين كانوا يطلبون منه عمل الخير والمساعدة ، نعم قال مرة للمرأة الكنعانية عندما طلبت منه ان يشفى ابنتها « ليس حسناً ان يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب . فقالت نعم يا سيد . والكلاب ايضاً تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها . حينئذ أجاب يسوع وقال لها يا امرأة عظيم ايمانك ليكن لك كما تريدين . فشفيت ابنتها فى الحال (مت ١٥ : ٢٦-٢٨)

فكلامه الاول لها وان ظهر قاسياً شديداً الا انه كان عرضاً لايمانها المتواضع لتجيب بهذا الجواب الذى رأى فيه المسيح عظمة ايمانها فقال معجباً يا امرأة عظيم ايمانك ومنحها فى الحال شفاء ابنتها

وهكذا قال يسوع لامه مريم مالى ولك يا امرأة لم تأت ساعتى بعد وذلك ليبين مقدار منزلة أمه عنده . لانه وان كانت ساعة المعجزات لم تأت بعد فان امه بعد سماع هذه الكلمة منه قالت للخدام : مهما قال لكم فافعلوه وما كانت تقول للخدام ان يتهيأوا للعمل لو كانت احست من عبارة

ابنها توبيخاً بل رأت فيها تدليلا لها واظهاراً للاستعداد للعمل بكل ما تطلبه منه .

ولو ان يسوع كان غير مرتاح لطلب أمه وقصد بقوله « مالى ولك يا امرأة » توبيخاً لها على طلبها هذا لما اجابها الى طلبها . وقد سبق له المجد ان جاءه يهود وطلبوا اليه ان يصنع آية فاجابهم وقال : جيل شرير فاسق يطلب آية فلا تعطى له . وهيرودس الملك صاحب السلطان طلب منه آية فلم يفعل

اذاً هذه العبارة التى وجهها يسوع الى أمه لم تكن توبيخاً بل تدليلا لامه التى لها ان تطلب صنع العجائب والمعجزات فى غير أوانها

وأظن الاستاذ البغدادى لا يرفض هذا التفسير بان كلمة « مالى ولك » الغالب فى استعمالها هو التدليل واظن ان الاستاذ يذكر اغنيـة كان كل سكان القاهرة يتغنون بها واخذت عنهم الارياف وهى : « والواد ده ماله ومالى بس » « ويابنت يابطه وأنا مالى هه »

وطالما قال المحب لحبيبه « يس مالى ومالك » أو مالك ومالى ولا يراد بها الا الاستعداد القلبى الى اجابة الحبيب الى طلبه .

وفوق هذا فان السيدة العذراء مريم التى طهرها الروح القدس وقدس افكارها وروحها وعقلها وكل ذرة من ذرات جسمها حتى تسامت وارتفعت فوق الاهواء والاغراض البشرية واصبحت فى حالة من الانسجام والتوافق مع مقاصد ابنها السامية المرتفعة عن كل افكار الجسد واغراضه قد احست بروح ابنها المثل الأعلى للبشرية فى التجرد من كل شيء عالمى .

فكما انه لم يكن له مسكن خاص ينام فيه كذلك احست مريم ان ابنها اخذ ينظر اليها كما ينظر الى كل امرأة اخرى من المؤمنات به وذلك لكى لا يشعر الناس بان له محبة خاصة آتية عن طريق اللحم والدم

وقد أوضح يسوع هذا الامر يوم قيل له هوذا امك واخوتك واقفون

خارجا طالبين ان يكلموك فاجاب وقال للقائل له « من هى أمى ومن هم اخوتى ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمى واخوتى لان من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو اخى واختى وامى » مت ١٢ : ٤٨ و ٥٠

وقوله : ليس احد ترك بيتاً أو اخوة أو اخوات أو ابا أو اماً او امرأة أو اولاداً او حقولا لاجلى ولاجل الانجيل الا ويأخذ مئة ضعف الآن فى هذا الزمان بيوتا واخوة واخوات وامهات واولاداً وحقولا مع اضطهادات وفى الدهر الآتى الحياة الابدية (مر ١٠ : ٢٩ و ٣٠)

فهذا الروح التجردى عن العالم وكل علاقة خاصة واعتبار كل المؤمنين اخوة واخوات قد تعلمه التلاميذ عن المسيح وتأكدوه فيه بعد ما اعلن هذا الاعلان . ولذا يقول بولس عن المسيح « وهو مات لاجل الجميع كى يعيش الاحياء فيما بعد لا لانفسهم بل للذى مات لاجلهم وقام إذاً نحن من الآن لا نعرف احداً حسب الجسد وان كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد (٢ كو ٥ : ١٥ و ١٦)

وهنا وضع يسوع لنا هذا المبدأ السامى الجليل الذى لو تعلمه اصحاب المناصب وكل الذين يشغلون مركزاً عاماً ووظيفة عامة لكان العالم الآن غير ما نراه اليوم من بؤس وشقاء واضطراب وفوضى

وهذا المبدأ هو ان المسيح لم يستخدم المعجزات التى تحت سلطانه لمصلحته الخاصة فلم يطلب يوماً كاروبيا من السماء يحمله ليدخل به الى السامرة بل سار على رجليه حتى تعب وجلس على البئر

وهو داخل الى أورشليم طلب جحشاً واتانا من لعسمارقه ولم يطلب سحابة من السماء تحمله

بل استخدم المعجزات لخدمة المصلحة العامة للبشر ولمجد الله كما انه بهذه العبارة التى وجهها الى امه أراد ان يبين لنا انه اذا ما فعل معجزة لا يفعلها مراعاة لصلة القرابة الدموية بل مراعاة للقصد والتعيين الالهى إذ قال لامه « مالى ولك يا امرأة لم تأت ساعتى بعد » اى الساعة

التى رسمها الاب السموى ساعة الوقت المناسب تصنع المعجزة اى عند عجز اهل العرس عجزاً تاما عن الحصول على الخمر وهـذا يقتضى الانتظار حتى تنفد الخمر وتظهر حاجتهم اليها وعندئذ يشعرون بقوة المعجزة

أما كلمة يا امرأة التى خاطب بها أمه فهى ليست كلمة « يامره » عندنا نحن اولاد البلد » بل كلمة لها معناها فى الاصل المترجمة عنه فهى فى قوة كلمة يا سيدتى ، يامدام ، ياليدى ، ياهانم

ولكى تعلم جلال هذه الكلمة تعال معى الى سفر التكوين فترى سموها « وبنى الرب الاله الضلع التى اخذها من آدم امرأة واحضرها الى آدم فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى هذه تدعى امرأة لأنها من امرء اخذت» (تك٢: ٢٢ و ٢٣)

فكانوا قديماً اذا قالوا للمرأة يا امرأة انما يقولون لها ياعظمى يالحمى ياضلعى أو كما تقول الأم لولدها ياكبدى ياروحى ياعينى

وإذا علمت ان آدم الاول هو الذى دعا حواء امرأة لانها منه اخذت ادركت لماذا كان يسوع يخاطب امه وكل امرأة قائلا ياامرأة وذلك لأنه هو آدم الثانى كما يدعوه الانجيل والقرآن ايضاً

نعم ويحق للمسيح ان يدعو ليس المرأة فقط بل وجميع النفوس البشرية المؤمنة به لأنها جميعاً اخذت من جنبه على الصليب حين طعنوه فى جنبه بالحربة كما اخذت حواء من جنب آدم يوم خلقت ، وهكذا البشرية خلقت من جديد بموت المسيح الفدائى الذى انقذنا من موت الخطية

ولا يعقل ان السيد المسيح يريد بكلمة امرأة تحقيراً لأمه أو للمرأة (قاً حين خاطبها قائلا يا امرأة ، لأنه له المجد هو الوحيد الذى رفع شأن امرأة وجعلها سيدة وشريكة الحياة للرجل الى المهات يوم حرم طلاقها لكل وجعل طلاقها قاصراً على علة الزنا فقط ويوم حرم الجمع بينها وبين امرأة خرى بل جعل قلب المرأة مساوياً لقلب الرجل فكما اوجب عليها ان يعطى قلبها كله للرجل اوجب على الرجل كذلك ان يعطى قلبه كله لامرأته

وليس نصفه او ثلثه او ربعه بان يكون كله لها كما انها تكون كلها له وهذا قوله بلسان رسوله بولس: ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها . ليوف الرجل المرأة حقها الواجب وكذلك المرأة ايضا الرجل . ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل . وكذلك الرجل ايضا ليس له تسلط على جسده بل للمرأة (١ كو ٧: ٢ — ٤)

تهويل البغدادى معجزة الخمر

يقول البغدادى فى عجب ودهشة ان اول آية صنعها يسوع انه حول الماء خمراً فى عرس وعندئذ آمن به تلاميذه (يو ٢ : ٧)

ونحن نعجب بدورنا

وكيف لا نعجب من شيخ مدسوس فى زمرة رجال الدين وينصب نفسه محامياً عن الدين وهو لا يدرى من كتاب دينه شيئاً لانه لو كان قد قرأ مرة فى سورة النحل التى تذكر الناس بحسنات الله تعالى وانعاماته الكثيرة عليهم بما خلق لهم من طيبات عددها لهم وضمن تلك الانعام قوله « ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون » (النحل ٦٧)

لو كان قرأ هذا لتمنى لو شلت يمينه وانكسر قلمه حتى لا يكتب متهكما على الانجيل وعلى السيد المسيح الذى صنع معجزة الخمر ، بينما قرآنه ذكر آية « السكر » لقوم يعقلون

ونكتفى بهذا القدر ونحيل القارىء على صفحة ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ من هذا الكتاب يجد فيها الرد الكافى على هذا الاعتراض

البغدادي يتطاول !

يقول البغدادي متطاولا : ان يسوع كذب على اخوته اذ قال لهم أنا لا اصعد فى هذا العيد الى اورشليم ثم صعد خفية (يو ٧:٦)

لو كان البغدادي باحثاً مهماً لكان على الاقل يطلع على النصوص التى يريد ان ينتقدها ولكنه معذور لانه سارق لما كتبه الكفرة الملحدون ضد الكتب الموحى بها فهو لا يعرف مواضع النصوص ليرجع اليها

وها نحن نورد النص كحقيقته: « وكان عيد اليهود عيد المظال قريبا فقال له اخوته انتقل من هنا واذهب الى اليهودية لكى يرى تلاميذك ايضا أعمالك التى تعمل لانه ليس أحد يعمل شيئاً فى الخفاء وهو يريد ان يكون علانية ان كنت تعمل هذه الاشياء فاظهر نفسك للعالم لأن اخوته ايضاً لم يكونوا يؤمنون به . فقال لهم يسوع ان وقتى لم يحضر بعد وأما وقتكم ففى كل حين حاضر . لا يقدر العالم أن يبغضكم ولكنه يبغضنى أنا لأنى أشهد عليه ان اعماله شريرة . اصعدوا انتم إلى هذا العيد . أنا لست اصعد بعد الى هذا العيد لأن وقتى لم يكمل بعد . قال هذا ومكث فى الجليل . ولما كان اخوته قد صعدوا حينئذ صعد هو ايضاً الى العيد لاظاهراً بل كأنه فى الخفاء » (يو ٧ : ٢ - ١٠)

ففى هذه الآيات نفهم ان اخوته عشورتهم هذه كانوا يريدون ان يغيروا قصده من جهة صعوده الى هذا العيد . وكان قد مرت عليه مدة وهو يعمل فى الجليل لم يصعد فى اثنائها إلى عيد من الاعياد وذلك لانه كان يريد ان يكمل عمله فى الجليل قبل ان يذهب الى أورشليم حيث كان مرجل رؤساء اليهود يغلى غلا وحقداً ضده وهم فى انتظار القبض عليه

ليقتلوه فلم يشأ ان يعرض نفسه لغضبهم وحقدهم قبل ان يكمل عمله في الجليل .

أما اخوته هؤلاء، فلم يكونوا فاهمين لحقيقته ولا ميزوا روحانية تعاليمه بل كانت الدوافع التي حركتهم لطلب صعوده إلى العيد دوافع دنيوية محضة وأهمها حب الظهور وطلب المنفعة الذاتية كما هو ظاهر من كلامهم معه كقولهم « لكي يرى تلاميذك ايضاً اعمالك » « فأظهر نفسك للعالم » وفوق هذا فان اخوته هؤلاء لم يكونوا يؤمنون به

فقال لهم يسوع أنا لا اصعد الى العيد بهذا الروح الدنيوي الاناني ولا لهذه الاغراض التي تريدونها أنتم

ولذلك يقول الانجيل ان يسوع بقي بعد ذلك في الجليل بضعة أيام وبعد ان صعد اخوته صعد هو ولكن ليس ظاهراً بل كأنه في الخفاء أي بعد ان صعدوا في الاحتفالات الشعبية في مظاهر الفرح والسرور والاغاني التي يقوم بها الزائرون الى الموالد والاحتفالات الشعبية . صعد منفرداً مختفياً عن عيون الناس بقدر المستطاع

فالعلانية أو الظهور الذي كان اخوته يريدونه له لم يتم حين صعد يسوع إلى العيد .

والمسيح له المجد لم يقطع بانه سوف لا يصعد إلى هذا العيد بتاتاً بل كانت كلمته لهم « أنا لست اصعد بعد » وكلمة بعد لا تدل على عدم الصعود بتاتاً بل تدل على انه سوف يصعد ولكن ليس الآن ، مثل قولنا « مش دلوقت » وهذا التعبير عينه هو الذي تكلم به مع مريم المجدلية بعد قيامته من الاموات عند ما رأته وأرادت ان تقبل قدميه قال لها « لا تلمسيني لاني لم أصعد بعد الى أبي ولكن اذهبي إلى اخوتي وقولي لهم اني أصعد الى أبي وابيكم وإلهي وإلهكم وكان كلامه هذا من قبيل التعجيل لمريم لكي تسرع وتبشر تلاميذه بقيامته ولا تضيع الوقت في تقبيل يديه

وقدنيه كما كانت تريد لانه يوجد متسع من الوقت بعد للسلام والتقبيل لانه لم يصعد بعد الى أبيه فكلمة بعد لا تنفى الصعود بل تدل على انه سيكون بعد وإلا فكيف يقول لها قولى لتلاميذى انى أصعد الى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم وحض تلاميذه على ملاقاته قبل ان يصعد . فكلمة بعد هنا بمعنى « لما » فى تعبيراتنا البلدى

البغدادى لا يرى الا التناقض

يقول البغدادى : ان يسوع ناقض نفسه بنفسه بان قال لليهود مرة ان كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقاً (يو ٥ : ٣١) ثم قال لهم مرة اخرى إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق (يو ٨ : ١٤)

آه يا بغدادى لو كنت تقرأ !

لو كنت تقرأ لوفرت علينا التعب ووفرت على نفسك الخجل او قرأت الاصحاحين الوارد فيهما النصان اللذان أوردتهما وظننت ان فيهما التناقض وجعلت منهما وسيلة للطعن على السيد المسيح الذى يقول عنه قرآنك الذى تدين له « روح الله وكلمته »

وبما انك لا تعرف ما بين دفتى الانجيل ولا تقدر على الوقوف على اصحاح منه أو آية بل تعرف ان تسرق من الملاحدة والكفرة اعتراضاتهم وتتبجح أمام المسلمين بانك الغواص الذى يخرج من أعماق الكتب اليهودية والمسيحية ما عجز عنه الأولون وانك النقاش الاكبر لعيوب هذه الكتب

فانا نورد لك ما قصدت اغفاله من سياق الكلام فى كل من الاصحاحين فترى كيف أن لا تناقض فى القول الأول والثانى بل ترى ان الاول كمقدمة منطقية والثانى كنتيجة طبيعية وهذا ما جاء فى الاول

« فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر ان يقتلوه لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال ان الله أبوه معادلا نفسه بالله . فأجاب يسوع وقال لهم : إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقاً . الذى يشهد لى هو آخر وأنا أعلم ان شهادته التى يشهدها لى هى حق . أنتم ارسلتم الى يوحنا فشهد للحق وأنا لا اقبل شهادة من انسان ولكنى أقول هذا لتخلصوا أنتم ... وأما أنا فلى شهادة أعظم من يوحنا لأن الاعمال التى اعطانى الاب لأ كملها هذه الاعمال بعينها التى أنا اعملها هى تشهد لى ان الاب قد ارسلنى » والاب نفسه الذى ارسلنى يشهد لى . . . فتشوا الكتب . . . وهى التى تشهد لى (يو ١٨ : ٣١ — ٣٩)

فمن هذا تفهم يابغدادى ان المسيح يقول لليهود ان كنت ادعى انى ابن الله دون ان يشهد لى يوحنا ودون ان تشهد لى كتبكم ودون ان تشهد اعمالى ومعجزاتى الفائقة لكانت شهادتى لنفسى كاذبة

وأما قول السيد : وإن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق (يو ٨ : ١٤)
فهذا رد منه على اليهود الذين بعد ان سمعوا اقواله هذه قالوا له أنت تشهد لنفسك وشهادتك ليست حقاً مع انه أبان لهم ان يوحنا شهد له وكتبهم شهدت له واعماله شهدت له فكان يجب ان يؤمنوا بان شهادته لنفسه حق .

وفى القرآن كثير يلوح لمثلك يابغدادي انه متناقض ولكننا لا نقع مثلك فى الخطأ فقد جاء فى (سورة النحل) قوله عن القرآن « انه لسان عربى مبين » وفى (سورة آل عمران) يقول عن القرآن : « فيه آيات متشابهات وانه لا يعلم تأويله الا الله » ومعلوم ان البين غير المتشابه (انظر غريب الشرح للرافعى ص ٩٧)

وجاء فى (سورة الاعراف) « إن الله لا يأمر بالفحشاء » وفى (سورة الاسراء) يقول « وإذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميراً »

وجاء فى (سورة يونس) عن فرعون قوله : « فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية » وفى (سورة الاسراء) يقول عن فرعون « فاغرقناه ومن معه جميعاً »

وفى (سورة المؤمن) قوله : ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معهم»

وفى (سورة طه) قوله لموسى « إذ اوحينا الى امك ان اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم »

فترى يا أستاذ كيف انه فى الآية الاولى ان أمر فرعون بطرح ابناء اسرائيل فى اليم كان بعد ان جاءهم موسى بالحق وفى السورة الثانية ان طرح اولاد اسرائيل فى اليم كان وموسى طفل فى المهد

فهل تتهم القرآن بالتناقض بمثل ما تتهم كتبنا أم تقول ان عند المفسرين للقرآن حلولا واجوبة

البغدادى يستمر فى المهاترة

يقول البغدادى متهكما : ان يوحنا المعمدان الذى هو أعظم نبي بشهادة يسوع كان يعرف إلهه الثانى الذى هو الابن وكان يبشر به (مت ٣ : ١١) ولكنه ما لبث ان نسيه (يو ١ : ٣١) ثم عاد فعرفه بعد ثلاثين سنة أى عند ما رأى الاله الثالث أى الروح القدس نازلا عليه من السماء بشكل حمامة (يو ١ : ٣٢) فعندئذ تذكر كلام الاله الأول أى الاب ان هذا الاله الثانى الذى خلق السموات والارض وما فيهما . ولكنه بعد زمن يسير من هذه المعرفة التامة عاد فنسيه أيضاً ولاجل ان يعرف ان كان هو أم لا بعث يسأله هل أنت هو المنتظر أم ننتظر آخر (مت ١١ : ١٢)

ماذا يريد أن يقول

أيريد البغدادى ان يتهكم على سر التثليث فأمامه مقالاتنا التى تكلمنا فيها عن التثليث رداً على الشيخ العدوى . فلماذا لم يرد علينا ؟ لا هذا ولا ذاك .

وموعدنا بك أيها القارىء الكتاب الذى سيصدر فى شهر ديسمبر عن التثليث والتوحيد ان شاء الله

أم يريد ان يتهكم على يوحنا المعمدان لأنه بعد ان شهد للمسيح انه ابن الله عاد فأرسل تلميذيه إلى المسيح بهذا السؤال : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر متهماً إياه بالنسيان

اسمع يا بغدادى ما جاء فى القرآن فى (سورة البقرة) قوله « ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها »

وما جاء فى البخارى جزء ٣ ص ١٥٤ عن نسيان محمد لبعض آيات القرآن واستذكاره إياها من رجل كان يتلو القرآن بالليل

فهل نتنازل عن آدابنا فنقول وكيف ينسى محمد شيئاً نزل عليه بالوحى أم نقول ان لهذا تعليله عند علماء المسلمين

وهل تستغرب كيف ان يوحنا يشك فى حقيقة المسيح ؟ فماذا تقول عما جاء فى القرآن قوله لمحمد : « إن كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك (سورة يونس)

وقوله فى (سورة الاعراف) كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به

وفسرها الفخر الرازى بقوله : ان محمداً من البشر وكان حصول الخواطر المشوشة والافكار المضطربة فى قلبه من الجائزات الخ

وفي حديث البخاري : ان رسول الله (صلعم) قال . . . .

. . . عيم جزء ٢ ص ١٥٨

ومع ذلك اسمع يا بغدادي : —

انه لما القى يوحنا في السجن وايقن موته أراد أن يسلم تلاميذه ليد المسيح فوجدهم متأثرين لكون المسيح يصنع المعجزات ويدع معلمهم في السجن دون ان يطلقه بمعجزة فأراد يوحنا ان يختصر الطريق فارسل اثنين بهذا السؤال الى السيد المسيح لعلمه انهما سيشاهدان اعماله ومعجزاته الكاملة باقناعهما وفعلا رأيا ما اقنعهما فعادا الى يوحنا يخبرانه بأعمال المسيح العجيبة

وهنا ظهرت حكمة يوحنا في إرسال التلميذين بهذا السؤال

ودفاع المسيح عن يوحنا بعد ذهاب تلميذيه ومدحه ليوحنا بقوله : الحق اقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء اعظم من يوحنا (يو ١١: ٢ـ١١) يدل على ان الشك لم يتسرب إلى قلب يوحنا والا كان المسيح قد ارسل يوبخه لانه لا يأخذ بالوجوه فقد وبخ هيرودس الملك على مراوغته وبطرس الرسول لعدم ميله لموت المسيح فداء عن العالم .

غير موفق على طول الخط

(١) يقول البغدادي . ان تلميذاً من تلاميذ هذا الاله الاثنى عشر الذين هم أعلى منزلة من موسى على زعمهم واسمه يهوذا الاسخريوطي باع ربه ورضى ان يسلم إلهه لليهود حتى اخذوا إلهه وصلبوه (مت ٢٦: ٤٧)

(٢) وان كبير التلاميذ المسمى بطرس انكر علاقته بالهه وأقسم ولعن انه لا يعرفه (مت ٢٦: ٧٤)

(٣) وان رئيس الكهنة المسمى قيافا الذي ثبتت نبوءته بنص الانجيل افتى بتكذيب الهه وحكم بقتله (يو ١١: ٢٩)

ماذا تعيب يا بغدادى على كتابنا ؟ اتعيب ما ذكرته كتبك الاسلامية اسمع ماذا يقول الفخر الرازى فى جزء ٣ ص ٣٤١ فى تفسير قوله « وما قتلوه وما صلبوه بل شبه لهم » : قال فيه وجوه الاول . ان اليهود لما علموا انه حاضر فى البيت الفلانى مع اصحابه امر يهوذا رأس اليهود رجلا من اصحابه يقال له طيطاوس ان يدخل على عيسى عليه السلام ويخرجه ليقتله فلما دخل عليه اخرج الله عيسى عليه السلام من سقف البيت والقى على ذلك الرجل شبه عيسى فظنوه هو فصلبوه وقتلوه. (الرابع) كان رجل يدعى انه من اصحاب عيسى عليه السلام وكان منافقاً فذهب الى اليهود ودلهم عليه الخ (انظر البيضاوى جزء ٢ ص ١٤٧ والنسفى جزء ١ ص ١٥٩)

فهو ذا أئمة دينك الاسلامى قد اثبتوا صحة رواية الانجيل وكيف ان رئيس الكهنة اليهودى أمر صاحبه طيطاوس ان يخرج المسيح ليقتله وطيطاوس محرفة عن يوطاس اسم يهوذا الاسخريوطى

فهل تجسر يا بغدادى بعد ذلك على التهكم على أئمة الاسلام أم تتوب الى الله فلا تعود تهجم على التوراة والانجيل !
